تجليات المكان
في شعر د. فوزي خضر

د. بديع فتح الله عليوه

أستاذ الأدب والنقد المساعد

بكلية اللغة العربية بالمنوفية

جامعة الأزهر الشريف

تجليات المكان في شعر د. فوزي خضر

بديع فتح الله عليوه
أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية اللغة العربية بالمنوفية
جامعة الأزهر – مصر.
البريد الإلكتروني: Badieeliwa.lan@azhar.edu.eg

ملخص البحث: يدرس هذا البحث تجليات المكان في شعر فوزي خضر من خلال ديوانه المعنون (تدور بي دوائري) والصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠١٥ م، ويكشف البحث عن أنماط المكان في شعره، وكيفية تفاعله معه، ورؤيته له وما استخدمه من عناصر الصورة الفنية المكانية كاشفاً بذلك عن مساحة مهمة من إبداع الشاعر.

الكلمات المفتاحية: أدب، شعر، المكان، فوزي خضر، تجليات، تدور بي دوائري، بديع عليوه.

The manifestations of the place in the poetry of Dr. Fawzi Khadr

Badie fatah allah eliwa
Assistant Professor of Literature and Criticism at the Faculty of Arabic Language in Al-Azhar University - Egypt
Email: Badieeliwa.lan@azhar.edu.eg

This paper examines the manifestations of place in Fawzi Khader's poetry through his book entitled (Turn in My Circles), issued by the Egyptian General Book Authority in ٢٠١٥ AD, and the research reveals the patterns of place in his poetry, how he interacted with it, his vision of it and what he used of the spatial artistic image elements revealing So about an important area of creativity of the poe

Kay words: Literature - Poetry - Place - Fawzi Khader – Manifestations- Turn in My Circles- badie eliwa.

تكتسب دراسة المكان في الشعر أهمية خاصة، لأنها تكشف عن الظواهر النفسية والفكرية والشعورية لدى الشاعر وتكسبها دلالات فنية مختلفة.

فنجد لديه الاحتفاء بالمكان الطبيعي والصناعي، والمكان المخصص، ويركز الضوء على المكان الأليف مثل الدار، والمكان المعادي مثل البحر الثائر، يتجول بصوره المكانية بين الأرض والسماء وما فيهما من أماكن وما بينهما من أجرام، ويرتحل في شعره بين المكان المعنوي الخيالي، والمكان الميتافيزيقي، رابطاً بين المكان والحركة والزمن.

مُقَدِّمَة

إنَّ حياة الإنسان زمن مقسَّم إلى مراحل، يقضيها الإنسان في أمكنة مختلفة بحسب طبيعة كل مرحلة ومتطلباتها، وقد شغل المكان مساحة من التفكير البشري منذ أن وُجد الإنسان على الأرض، فقد صار هناك تلازم بينه وبين المكان الذي كان يتدخل فيه لتعديله وفق احتياجاته لكي يحقق له الأمن والراحة، وتفاوتت ظروف البيئة، فوجد أمكنة أدخلت إلى قلبه الاطمئنان والسكينة، وأمكنة أخرى ملأت كيانه بالخوف والذعر؛ لذلك ارتبط المكان بفكر الإنسان ومشاعره طوال حياته.

والشعر واحد من أبرز مظاهر الأنشطة البشرية التي جسّدت الإحساس بالمكان، فسعى الشعراء إلى توظيف الأمكنة في إبداعهم الشعري بما يتلائم مع حالتهم النفسية، ومع ما ينطبع لدى كل منهم من رؤية مكانٍ معينٍ أو تَذَكُّره، فيصفه أو يصوّره في شعرٍ محمل بمعانٍ ودلالات وإيحاءات تضفي على المكان ما هو أكثر عمقًا من صورته الظاهرية وتشكيله الهندسي، فيجعل للمكان روحًا وانفعالًا وأحاسيس، وكما يعيش الإنسان في مكان فيؤثر في تشكيل ذلك المكان وتفاصيل بنائه ومحتوياته، كذلك يؤثر المكان في أدق تفاصيل حياة الشاعر وتفرعاتها بما يحمله من حوادث آنيّة في حياته أو ذكرياته الماضية؛ لذلك تتجلى انعكاسات متنوعة للتأثير بين الشاعر ومكانه، وعلى هذا يركز هذا البحث على العلاقة الحية بين الإنسان الشاعر والمكان.

وقد اهتم الدرس النقدي بالنصوص الشعرية اهتمامًا كبيرًا، إلا أن المكان بوصفه عنصرًا أساسًا في النص الشعري لم ينل غير قليل من عناية الدراسات النقدية التي اقتصرت على تناول المقدمات الطللية في القصائد الجاهلية، بينما يوجد للمكان دور مؤثر وفعال في الشعر العربي، ومنه الشعر المعاصر الذي يعد (فوزي خضر) من أكبر مبدعيه ذوي المكانة المرموقة.

ومن الدراسات المهمة للمكان في الشعر المكان في شعر البردوني لخالدبن عبد العزيز اللعبون ،الزمكانية وبنية الشعر المعاصر أحمد عبد

المعطي حجازي، المكن والزمان في العالم الكوني الحديث (ب.ك.و .ديفيس) ترجمة أدهم السمان، المكان ظاهرة في ديوان أغنيات للوطن للشاعر قاسم أبو عين، لمحمد حسن الربعانية وغيرها.

ويطمح هذا البحث إلى الغور في الأعماق، واكتشاف الأبعاد التي تكشف تجليات المكان في شعر (فوزي خضر)، من خلال تعبيره عن الأمكنة التي عاش فيها أو التي مر بها في رحلاته أو تخيلها في ديوانه (تدور بي دوائري)، حيث عبر الشاعر عن وجودٍ فاعلٍ للمكان، يمكن تَلَمُّسُ حضوره وتفاعله بما يمتلكه من قوة وتأثير في عناصر القصيدة من لغة وموسيقا وتصوير، وقد اخترت أن أبحث في تجليات المكان في شعر (فوزي خضر)؛ لأنه موضوع لم يبحث من قبل بحسب علمي، وتتضح فيه براعة الشاعر وعمق تفاعله مع الأمكنة التي ذكرها في قصائده.

ينقسم هذا البحث إلى:

١- مقدمة، بها سبب اختيار البحث للدراسة، والخطة والمنهج وما حولها.

٢- التمهيد: التعريف بالشاعر.

٣- المبحث الأول: تناولت فيه المكان لغةً واصطلاحًا، ومفهوم المكان وتعريفه، ثم عرَّفتُ المكان العام - من طبيعي وصناعي - والمكان المخصص، والمكان الخيالي، ثم تناولت البعد النفسي للمكان والصلة بينه وبين الزمان، ثم عرَّجت على آراء النقاد والباحثين حول علاقة الإنسان بالمكان وأنساقه وأنماطه، ثم الإشارة إلى أن المكان يحظى بمساحة إبداعية واسعة في شعر فوزي خضر.

٤- المبحث الثاني: يتناول البحث - بعد ذلك - المكان في شعر فوزي خضر، مبيّنًا أقسام المكان في شعره من الأرض، وما فيها من بر وبحر، وما فوقها من سماء بشمسها ونجومها وأفلاكها، وما بين السماء والأرض من سحب وغيرها.

كما يدرس البحث بعد ذلك المكان في اليابسة ما بين المكان العام والمكان المخصص والمكان العلَم مثل المدن، كما يدرس الدار لدى الشاعر والمنزل والبيت، ويدرس المكان بوصفه مساحة للتفاعل الاجتماعي، ثم دور المكان في الصورة الفنية عند فوزي خضر، وكيفية تناوله المكان الطبيعي من فلاة وجبال وهضاب.

ويحظى البحر بنصيب في شعر فوزي خضر؛ فالبحر هو مكان رحلاته بما فيها من أمواج وسفن وظلام في ليل مخيف، وما فيه من رمز مرتبط بمدينته الإسكندرية.

أما السماء بوصفها مكانًا فقد استخدمها الشاعر بلفظها، كما استخدمها بما تشتمل عليه من شمس ونجوم وكواكب، والقمر منازله.

واستخدم الشاعر الفضاء مكانًا بما يشتمل عليه من غيوم وسحب ونسيم ورياح بأنواعها المختلفة العاصفة منها والطيبة.

وتناول البحث – بعد ذلك – المكان المعنوي/ الخيالي عند الشاعر، وهو المكان غير الموجود في الواقع، وإن كان يمكن إدراكه بالعقل والخيال مثل سجن الردى وغصن الشباب.

ويتجه البحث إلى دراسة المكان الميتافيزيقي عند فوزي خضر، وهو المكان الذي يتمثل في الجنة.

ويشير البحث – بعد ذلك – إلى المكان والحركة والزمن وكيفية الجمع بينهما في شعر فوزي خضر، مما يؤكد أن الشاعر قد تفاعل في شعره مع المكان بأنماطه المختلفة، وقدم المكان من خلال صورة لافتة ربط فيها بين الحركة والزمان والمكان.

٥- المبحث الثالث: دلالات المكان في شعر فوزي خضر

أ- دلالة نفسية ب- دلالة اجتماعية ج- دلالة سياسية.

٦- ثم الخاتمة التي تعرض أهم نتائج البحث.

٧-ثبت بأهم المصادر والمراجع التي تمت الاستعانة بها.

٨-فهرس لموضوعات البحث.

والله الموفق.

بديع فتح الله عليوه
أستاذ الأدب والنقد المساعد
بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

التمهيد

التعريف بالشاعر

الدكتور فوزي خضر

هو فوزي محمود خضر، ولد سنة ١٩٥٠ بالتوفيقية التابعة لمركز ايتاي البارود بمحافظة البحيرة ،درس في كلية الآداب جامعة الإسكندرية حتى حصل على الدكتوراه سنة٢٠٠٠ م انتقل إلى الإسكندرية وعاش بها ثم انتقل إلى مدينة برج العرب الجديدة ،عمل في التحاليل الطبية ، كما عمل في مكتبة الإسكندرية في قسم تحقيق المخطوطات ،سافر إلى ليبيا ،ثم سافر إلى المملكة العربية السعودية وعاش بها قرابة خمسة عشر عاما أستاذا بكلية المعلمين بالطائف ثم أستاذا بكلية التربية والآداب بجامعة الطائف و مستشارا لمدير الجامعة ، ثم عاد إلى مصر، والشاعر يعيش حاليا بمدينة برج العرب أطال الله عمره وأبقى أثره .

هو صاحب البرنامج الأشهر بالإذاعة المصرية (كتاب عربي علم العالم) والذي ظل يذاع لمدة تقارب الثلاثين عاما وأكثر من خمسة آلاف حلقة واشترك به أغلب الفنانين العرب، وحصل على العديد من الجوائز الدولية وتم اذاعته في معظم الإذاعات العربية .

كما حصل على العديد من الجوائز وشهادات التقدير من أهمها جائزة الدولة التشجيعية وجائزة الدولة للتفوق ،وجائزة الأمير عبد الله الفيصل الدولية للشعر المسرحي وغيرها .

كتب عنه معظم النقاد العرب منهم فاروق شوشة وصلاح فضل وعزالدين إسماعيل ضلا عن دراسات وبحوث اكاديمية كثيرة ،وهناك كتاب يطبع الآن عن كل ما كتب عن الشاعر في مصر وخارجها .

المؤهـــلات العلمية :

(١) ليسانس الآداب – قسم اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية وآدابها جامعة الإسكندرية ١٩٨٩ بتقدير "جيد" .

(٢) ماجستير – الموشحات في العصر الغرناطي ١٩٩٥ – بتقدير "ممتاز" .

(٣) دكتوراه . عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون ٢٠٠٠ بمرتبة الشرف الأولى.

المـــؤلفـــات :

(٧٥) كتابًا مطبوعًا في مصر والسعودية وقطر والكويت والأردن، وبعضها صدر له أكثر من طبعة في أكثر من دولة وبيانها كالآتي:

المؤلفات	تاريخ النشر
أولا: الدراسات :	
إطلالة على الشعر السعودي – نادي جازان الأدبي – السعودية	١٩٨٥
أحمد بن ماجد أسد البحار . دار المعارف	١٩٩٥
مبادئ العَروض – مطبوعات أصوات معاصرة	١٩٩٧
زرياب عبقري النغم – مكتبة ومطبعة الغد	١٩٩٨
أعظم الكتب العربية في الفلك – المكتب العربي للمعارف	١٩٩٨
أعظم الكتب العربية في الصيدلة – المكتب العربي للمعارف	١٩٩٨
أعظم الكتب العربية في الطب العام – المكتب العربي للمعارف	١٩٩٨
أعظم الكتب العربية في طب العيون – المكتب العربي للمعارف	١٩٩٨
أعظم الكتب العربية في تخصصات طبية مختلفة – المكتب العربي للمعارف	١٩٩٨
فهد العسكر شاعر الحزن النبيل – مكتبة ومطبعة الغد	١٩٩٩
شمس الإسلام تشرق في البلاد – الدار الثقافية للنشر	٢٠٠٢
شاعرات الإسكندرية – هيئة الفنون والآداب	٢٠٠٢
ابن زيدون شاعر الحب المعذّب – الدار المصرية اللبنانية	٢٠٠٢
عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، ط١، الهيئة العامة لقصور الثقافة	٢٠٠٤
عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، ط٢، مؤسسة البابطين – الكويت	٢٠٠٤
شعراء من الإسكندرية – دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر	٢٠٠٥
المختار من أشعار الأنصاري . الهيئة المصرية العامة للكتاب	٢٠٠٥

فؤاد طمان شاعر الإسكندرية (بالاشتراك مع د.سعد دعبيس، وعذاب الركابي)– دار السفير ٢٠٠٦

قراءة في دواوين من شعر الإسكندرية – هيئة الفنون والآداب ٢٠٠٦

المدخل إلى أدب الأطفال (بالاشتراك مع د. لطفي أحمد بابكر) خوارزم العلمية للنشر والتوزيع – جدة – السعودية ٢٠٠٧

في العَروض والقافية (بالاشتراك مع د. بريكان الشلوي) خوارزم العلمية للنشر والتوزيع – جدة – السعودية ٢٠٠٧

إسهام العلماء العرب في الحضارة الإنسانية . هبة النيل العربية للنشر ٢٠٠٨

محاضرات في علم الأسلوب – مكتبة مُنيف – تَرَبَة – السعودية ٢٠٠٩

محاضرات في الشعر العربي الحديث – مكتبة منيف – تربة – السعودية ٢٠٠٩

محاضرات في النقد الأدبي القديم – مكتبة منيف – تربة – السعودية ٢٠٠٩

إطلالة جديدة على الشعر السعودي – نادي الطائف الأدبي – السعودية ٢٠١١

موسوعة العلماء العرب والمسلمين (بالاشتراك مع د. عبدالإله باناجه، د.عطا أبورية) – جامعة الطائف – المجلد الأول . ٢٠١٣

موسوعة العلماء العرب والمسلمين (بالاشتراك مع د. عبدالإله باناجه، د.عطا أبورية) –جامعة الطائف – المجلد الثاني . ٢٠١٣

الإبداع التصويري في شعر فهمي إبراهيم – هيئة الفنون والآداب ٢٠١٥

العلم العربي في حضارة الغرب – الدلتا للنشر – القاهرة ٢٠١٥

نجوى السيد – رحلة في سماء الأدب والفن – الكتاب التذكاري لأتيليه الإسكندرية – مكتبة ومطبعة الغد. ٢٠١٦

الموجز في الأدب الأندلسي (بالاشتراك مع د. أحمد عيضة ٢٠١٧

الثقفي)– مكتبة ومطبعة الغد.

ثانيًا: دواوين شعر:

أغنية لسيناء (مشترك) . الهيئة المصرية العامة للكتاب	١٩٧٥
الترحال في زمن الغربة . المجلس الأعلى للثقافة	١٩٨٤
من سيمفونية العشق . المركز القومي للفنون والآداب	١٩٨٥
فصل في الجحيم . الهيئة المصرية العامة للكتاب	١٩٨٥
وَلَهِيَّةٌ إلى الإسكندرية . مديرية الثقافة بالإسكندرية	١٩٨٨
النيل يعبر المواسم . الهيئة المصرية العامة للكتاب	١٩٩١
قطرات من شلال النار . الهيئة العامة لقصور الثقافة	١٩٩٣
مسافات السفر . المجلس الأعلى للثقافة	١٩٩٦
من سيرة الجواد المعاند . هيئة الفنون والآداب	١٩٩٨
أمواج في بحر الحروف . اتحاد الكُتاب المصري	١٩٩٩
بركان يركض . الهيئة المصرية العامة للكتاب	٢٠٠٢
مكابدات . الهيئة المصرية العامة للكتاب	٢٠٠٢
مدائن المجهول – الهيئة المصرية العامة للكتاب	٢٠١١
تدور بي دوائري– الهيئة المصرية العامة للكتاب	٢٠١٥

ثالثًا: مسرح شعري:

الشيخ الرئيس (ابن سينا) – المجلس الأعلى للثقافة	٢٠١٠

رابعًا : كتب الأطفال:

أ / قصـــص:

عمر المختار (طبعة أولى) – دار الشرق – دولة قطر	١٩٨٩
عمر المختار (طبعة ثانية) – المكتب العربي للمعارف – القاهرة	١٩٩٧
عبد الرحمن الداخل صقر قريش ط١ – دار الشرق – دولة قطر	١٩٨٩
عبد الرحمن الداخل صقر قريش ط٢– المكتب العربي للمعارف	١٩٩٧
الصوت الغريب ط١ – دار المعارف – مصر	١٩٩٤

الصوت الغريب ط٢ – دار المعارف – مصر ١٩٩٧
الآلة البخارية – الشركة العربية للنشر والتوزيع ١٩٩٨
الصاروخ والطوربيد – الشركة العربية للنشر والتوزيع ١٩٩٨
البندول – الشركة العربية للنشر والتوزيع ١٩٩٨
البوصلة – الشركة العربية للنشر والتوزيع ١٩٩٨
التليسكوب – الشركة العربية للنشر والتوزيع ١٩٩٨
الساعة الميكانيكية – الشركة العربية للنشر والتوزيع ١٩٩٨
ابن سينا – مكتبة ومطبعة الغد ١٩٩٩
أبو بكر الرازي – مكتبة ومطبعة الغد ١٩٩٩
أبو القاسم الزهراوي – مكتبة ومطبعة الغد ١٩٩٩
ابن النفيس – مكتبة ومطبعة الغد ١٩٩٩
الأهوازي – مكتبة ومطبعة الغد ١٩٩٩
عبد اللطيف البغدادي – مكتبة ومطبعة الغد ١٩٩٩
أبو مروان بن زُهْر – مكتبة ومطبعة الغد ١٩٩٩
أبو بكر الحفيد – مكتبة ومطبعة الغد ١٩٩٩
ابن رضوان المصري – مكتبة ومطبعة الغد ١٩٩٩
ابن أبي أصيبعة – مكتبة ومطبعة الغد ١٩٩٩
أشهر الرحلات إلى جزيرة العرب – رابطة الأدب الإسلامي العالمية . ط ١ . دار البشير – الأردن ١٩٩٩
أشهر الرحلات إلى جزيرة العرب – ط ٢ـ مكتبة العبيكان ـ الرياض . السعودية ٢٠٠٥

ب/ مسرحيات:

الحمار الحزين – شركة أطفالنا للإنتاج الإعلامي – القاهرة / الرياض ٢٠٠٣
القرد ميمون – شركة أطفالنا للإنتاج الإعلامي ٢٠٠٣

الكتاب المقلوب – شركة أطفالنا للإنتاج الإعلامي ٢٠٠٣
عودة – شركة أطفالنا للإنتاج الإعلامي ٢٠٠٣
نزهة في الغابة – شركة أطفالنا للإنتاج الإعلامي ٢٠٠٣
الجار الثقيل – شركة أطفالنا للإنتاج الإعلامي ٢٠٠٣
الوعد الأكيد – شركة أطفالنا للإنتاج الإعلامي ٢٠٠٣
صباح جديد – شركة أطفالنا للإنتاج الإعلامي ٢٠٠٣

خامسًا : مؤلفات تمثيلية:

برنامج خاص عن صلاح جاهين – القناة الثالثة – تلفزيون مصر – ٤/٢١. ١٩٨٦

برنامج "اضحك مع" – القناة الثالثة – تلفزيون مصر (٢٠ حلقة) ١٩٨٨
عشرات المسلسلات والبرامج الإذاعية بمعظم الإذاعات العربية

المبحث الأول

مفهوم المكان وأنواعه

المكان في اللغة:

المكان في أصل تقدير الفعل "مَفْعَل"؛ لأنه موضوع الكينونة، غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى الفَعَال(١).

والمكان: الموضع، والجمع أمكنة.. وأماكن جمع الجمع(٢).

مفهوم المكان:

وُجدت فكرة المكان مع خلق الإنسان، ثم نمت وتطورت مع نمو الفكر البشري وتطوره، فقد كان المكان هو المحور الرئيس الذي دارت حوله قصة خلق آدم فأمره – ﷻ – أن يسكن الجنة (٣)، وفي هذا الأمر إشارة واضحة إلى أهمية المكان والسكن فيه(٤).

(١) عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٥هـ)، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار الشئون والثقافة العامة، بغداد ١٩٨٤م. مادة (م ك ن)، ج٥ ص ٣٧٨.

(٢) ابن منظور (أبو الفضل حمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري(ت ٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيقة عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة (د. ت) مادة (م ك ن).

(٣) (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ) البقرة، ٣٥.

(٤) حسام الدين الألوسي، الزمن في الفكر الديني والفلسفي القديم، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد(٢) ١٩٧٧م، ص١٠٩.

ثم أُنزل آدم وحواء – عليهما السلام – إلى الأرض [١]، والأرض هي عالم الإنسان ومكانه الذي يرتبط به منذ بداية الخلق [٢]، وهي التي تمنح العالم الحياة[٣].

والأرض لا يقصد بها البر، وإنما يقصد بها البر والبحر، وما يحيط بهما من فضاء، وما يظللها من سماء.

تعريف المكان:

يوجد أكثر من تعريف للمكان، وإن كانت التعريفات كلها داخل إطار واحد يحيط بها، فالمكان مساحة ذات أبعاد هندسية أو طوبغرافية تحكمها المقاييس والحجوم ويتكون من مواد، ولا تُحدّد المادة بخصائصها الفيزيقية فحسب، بل هو نظام من العلاقات المجردة، فيستخرج من الأشياء الملموسة بقدر ما يُستمد من التجريد الذهني، أو الجهد الذهني المجرد[٤].

والمكان وَسَطٌ، يتصف بطبيعةِ خارجيةِ أجزائه، إذ يتحد فيه موضع – أو محل – إدراكاتنا، وهو يحتوي على كل الإمدادات المتناهية، وهو نظام تساوق الأشياء في الوجود، ومعيتها الخصوصية في تلاصق وممارسة وتجاور وتقارن[٥].

---

(١) (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)، البقرة،٣٦.

(٢) حسام الدين الألوسي، مردع سابق،ص١٠٩

(٣) جاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت١٩٨٤م، ص ٥٩.

(٤) اعتدال عثمان، جماليات المكان، مجلة الأقلام، بغداد١٩٨٦م، ص٧٦.

(٥) علي عبد المعطي محمد (دكتور)، تيارات فلسفة معاصرة، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية ١٩٨٤م، ص٢٨٠-٢٨١.

وهذا يعني أن المكان في الشعر لا يقتصر من حيث كونه أبعادًا وحجومًا، بل هو نظام من العلاقات المجردة تتصل بجوهر العمل الفني(١).

والمكان من العناصر المهمة التي يتناولها العمل الأدبي، فإن للمكان أهمية في النظرية الإبداعية للعمل الأدبي،؛ لأنه يعبر عن شخصية الأديب، وما تضمره هذه الشخصية من تجارب فنية، بالإضافة إلى تجاربه الإبداعية(٢)، وذلك لأن وصف المكان ومكوناته، وما يحتويه من أشياء، يعد في الوقت نفسه وصفًا لشخصية نفسها، وذلك أن للأشياء ترابطًا وثيق الصلة بتاريخ الأشخاص(٣).

وتزداد أهمية المكان في العمل الأدبي مع زيادة إحساس الشاعر بالدور الذي يقوم به، وبما يوصله من رؤى وأفكار ضمن عناصر تكوينه.

والمكان في الشعر ينقسم إلى: مكان واقعي، ومكان خيالي، فأما المكان الواقعي فهو يشتمل على الآتي:

أولا: المكان العام:

وهو مكان غير محدد، وينقسم إلى:

١- المكان الطبيعي: وهو المكان الذي لا يتدخل الإنسان في صنعه مثل: الأرض بما فيها من وديان وصحارٍ وجبال وغابات، وبحار وأنهار وشواطئ وخلجان. ومثل السماء بما فيها من شمس وقمر ونجوم، والفضاء وما يسبح فيه من سحب وغيوم، وما يضم من طيور ورياح.

٢- المكان الصناعي: وهو المكان الذي يتدخل الإنسان في صنعه وإنشائه، مثل: المدن والقصور والقلاع، والمساجد والمآذن والقباب، والشوارع والبساتين والحقول.

---

(١) جاستون باشلار، مرجع سابق، ص ٧.

(٢) ياسين النصير، إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٦م، ص ٣٨٣.

(٣) شجاع مسلم العاني (دكتور)، البناء الفني في الرواية الفنية في العراق -٢- الوصف وبناء امكان - دار الشئون الثقافية العامة، بغداد ٢٠٠٠م،ص٢١.

ثانيا: المكان المخصص:

وهو المكان المحدد، مثل: وادي النيل، وجبل عرفات، وصحراء النفود، والخليج العربي، ومثل شمس أغسطس، وقمر النصف من شعبان، والنجم سهيل، وريح الصبا.. وما شابه ذلك.

وأما المكان الخيالي فهو مكان يبتدعه خيال الشاعر، يضم تجربة عاطفية وفكرية تجري في عالم غير عالم الواقع، وعالم خيالي بحوادث خيالية، لكنها تحدث في مكان محدد، يختاره الشاعر من مخزون معايشته للأمكنة.

ويؤثر الخيال على المكان تأثيرًا واضحًا، وربما ألغى الخيال هندسية المكان ليحل محلها تفاعل الشاعر مع جزئيات أخرى، وربما امتزج الخيال ببعدٍ موضوعي واجتماعي بحسب تصورات الشاعر للمكان، وما يثيره في نفسه من تداعيات.

والشاعر المبدع يمتد خياله وتتجلى قدرته الإبداعية على خلق أماكن فنية من خلال النص الإبداعي بوصفة بنية ثابتة موازية لعالم الواقع، بما يكتنزه من دلالات وأبعاد فكرية وجمالية(١).

ومن المهم أن نشير إلى أن المكان الشعري لا يعتمد على اللغة وحدها، إنما يحكمه الخيال الذي يشكّل المكان بواسطة اللغة، على نحو يتجاوز قشرة الواقع إلى ما قد يتناقض مع هذا الواقع، غير أنه يظل على الرغم من ذلك واقعًا محتملًا، إذ إن جزئياته قد تكون حقيقة، ولكنها تدخل في سياق حلميّ، يتخذ أشكالًا لا حصر لها، يصل إليها الخيال اللغوي، فيما يمكن أن نسميه بجماليات اللغة الخيالية(٢).

---

(١) سامية أحمد، القصة القصيرة وقضية المكان، مجلة فصول، القاهرة، العدد (٤) ١٩٨١م، ص ٣٨.

(٢) مدحت الجيار (دكتور)، جماليات المكان في شعر صلاح عبد الصبور، مجلة ألف، القاهرة، العدد(٦) لسنة١٩٨٦م، ص ٢٨ .

البعد النفسي للمكان:

تُمثِّل الأمكنة حضورًا نفسيًا فعَّالا لدى الشعراء، يتجسد في قصائدهم عبر حالة من التفاعل النفسي مع المكان، وهذه الحالة هي حالة داخلية، لا تشبه أي حالة أخرى.. إن حلم اليقظة ينقل الحالم خارج العالم المباشر إلى عالم يحمل سمة اللانهائية.. وكثيرا ما يكون الاتساع الداخلي هو الذي يمنح معنى حقيقًا لبعض التعبيرات المتعلقة بالعالم المرئي(١).

وتُعدُّ الدلالة النفسية للمكان في مقدمة العناصر التي تجعل له موضعًا متقدمًا حين نتصدى لدراسة النص، فإن للمكان أبعادًا نفسيةً، فضلًا عن وظائفه الفنية وأبعاده الاجتماعية والتاريخية والعقائدية التي ترتبط به ولا تفارقه، حتى أننا نسترجع هذه السياقات والأبعاد عند استرجاعنا للمكان نفسه أو ما يرتبط به(٢).

الزمن والمكان:

توجد صلة وثيقة بين الزمان والمكان، فالزمان هو لحظة وقوع الحدث، والمكان هو موقع حدوثه، وإذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث، فإن المكان يظهر على هذا الخط ويصاحبه ويحتويه، فالمكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث، وهذا اختلافٌ في طريقة إدراك الزمن وطريقة إدراك المكان، حيث إن الزمن يرتبط بالإدراك النفسي، أما المكان فيرتبط بالإدراك الحسي(٣)، فالعلاقة بين الزمان والمكان علاقة جوهرية متبادلة، وتوجد ثلاثة مستويات تشير إلى العلاقة بين الإنسان والمكان، وردت ضمن مصطلحات النقد السيميائي هي:

---

(١) اعتدال عثمان، مرجع سابق، ص٥١.

(٢) مدحت الجيار (دكتور)، جماليات المكان في شعر صلاح عبد الصبور، مجلة ألف، القاهرة، العدد(٦) لسنة١٩٨٦م، ص ٢٨ .

(٣) سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤م، ص٦.

١- علاقة الانتماء الحميم أو الألفة والطمأنينة، إذ تتماهي فيها الشخصية مع مكانها على أشد ما يكون الارتباط الوثيق معه.

٢- علاقة التنافر أو المعاداة، تتنافى فيها طبائع الشخصية وسلوكها مع المكان، لشعورها معه بالغربة الجسدية أو النفسية أو الفكرية.

٣- علاقة الحياد، هي علاقة السطحية التي غالبًا ما يفرزها اتصال الغرباء بالمكان الذي يقيمون فيه(١).

أنساق المكان وأنماطه:

اختلف النقاد والباحثون في تحديد أنماط المكان فلم تكن النظرة واحدة بخصوص نمط معين أو عدة أنماط يؤول إليها النص الأدبي بل كانت فكرة النص ودلالته متنوعة بتنوع أنساقه وتنوع مؤثراته الداخلية والخارجية.

ومن تقسيمات المكان قسم الناقد ياسين النصير المكان إلى نوعين رئيسين، هما:

١- المكان الموضوعي: ويقصد به عملية انعكاس من الحياة الاجتماعية على أساس أنه يبني تكويناته من الحياة اليومية للمجتمع وتستطيع أن تؤثر عليه بما يماثله اجتماعيًا، وواقعيًا أحيانًا.

٢- المكان المفترض: وهو عملية افتراضية عن طريق التخيل، الذي تتشكل أجزاؤه وفق منظور مفترض، وهو يستمد بعض خصائصه من الواقع إلا أنه غير محدد وغير واضح المعالم(٢).

أمّا الناقد غالب هلسا فقسم المكان وفق ما جاء عند جاستون باشلارآ إلى ثلاثة عناوين، هي:

---

(١) مصطلحات النقد السيميائي ٢٧٩ WWW.AWudam.org

(٢) ياسين النصير، الرواية والمكان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، سلسلة الموسوعة الصغيرة (١٥٧) ن. تزص٢٧.

- المكان المجازي: وأراد به مكانًا غير مؤكد، إنما هو أقرب إلى الافتراض.
- المكان الهندسي: وهو المكان الذي يعرضه الراوي من خلال وصف أبعاده الخارجية بدقة بصرية، وفي هذا النوع يُحرم القارئ من استخدام خياله، وهو بذلك يقتل الخيال ويتحول المكان فيه إلى درس هندسي.
- المكان كتجربة معايشة: وهو مكان عاش فيه المؤلف وبعد أن ابتعد عنه أخذ يعيش فيه بالخيال، فأثر في أدبه كتجربة داخل العمل الأدبي(١)

أمّا تقسيمات بروت للمكان فكانت كالآتي:

١- المكان الأصل: ويمثل – عادة – مسقط رأس المؤلف ومحل العائلة.

٢- المكان الوقتي: وهو مكان عرضي ووقتي وقد أطلق عليه غريماس مصطلح (المكان التشريحي الحاف) وهو مجاور للمكان المركزي.

٣- المكان الذي يقع فيه الإنجاز أو الاختيار الرئيس وهو عند غريماس (باللامكان)؛ لأن الفعل المغير للذات والجوهر لا يمكن أن يتجسم في إطار معين، لذا فإن مكان الفعل هو اللامكان.

أما شجاع العاني فيقسم المكان إلى أربعة أصناف مستفيدًا من الثنائيات.

١- المكان المسرحي: ويتميز بأنه مكان مجازي أو افتراضي على أنه سلبي تابع للأحداث والشخصيات، لا يتفاعل معهما ولا يؤثر في صياغة الحبكة.

٢- المكان التاريخي: وهو المكان الذي لا ينفصل عن الزمان.

(١) جاستون باشلار، مرجع سابق، ص٢٢٧.

٣- المكان الأليف: كل مكان يثير الإحساس بالألفة من حيث العيش والألفة والحنان بحيث يشكل هذا المكان مادة لذكرياتنا.

٤- المكان المعادي: وهو المكان الذي يشعر الفرد فيه بالضيق وعدم الانسجام مع البشر ويتمثل ذلك في السجون والمعتقلات.

كما درس حميد الحمداني المكان الروائي في كتابه (بنية النص السردي) وصنف الفضاء الروائي إلى ثلاثة أنواع:

١- الفضاء كحيز جغرافي داخل الرواية: يرصد به حركة الأبطال في الرواية وعند ذكر أسماء الأماكن يستدعي القارئ ذكرياته لاستحضار تلك الأماكن.

٢- الفضاء كرؤية: وهو عملية السيطرة على مجريات الرواية من خلال إضفاء الكاتب رؤيته في عملية السرد.

٣- الفضاء كمكان: وهو الطريقة التي تشغلها الكتابة على اعتبار أن الحرف يحتل حيزًا مكانيًا من الورقة أي كعتبات نصية تبدأ من الغلاف والعنوان، ومن ثم متون الفصول، وما يترشح منها من دلالات(١).

أمّا دراسة حسن بحراوي فقد جاءت عن المكان باعتباره عنصرًا تتشكل منه الرواية إلى جانب (الزمان والشخصية) سماه الفضاء الروائي وجعله عنصرًا شكليًا فاعلًا في الرواية، فقد جاءت وفق المحاور الآتية:

١- أماكن الإقامة الاختيارية (البيوت).

٢- أماكن الإقامة الإجبارية (السجن).

٣- أماكن الانتقال العمومية (الأحياء الشعبية)

٤- أماكن الانتقال الخصوصية (المقاهي)

(١) نقلا عن: محمد عزام، فضاء النص الروائي، مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية ١٩٩٦م، ص ١١٣.

ويظهر التقابل بين الأنماط المكانية، وفق دواعي بقاء بعض الأمكنة بلا أسماء عبر تصور أماكن واقعية، لكي يوجد أمكنة متخيلة تؤدي دور الإيهام بالواقع.

من هنا فإننا نستطيع أن ندرج مجموعة من التقابلات المكانية دليلًا على حضور البعد التركيبي الذي تتولد منه الدلالات وهذه التقابلات المكانية كالآتي:

١- أماكن الإقامة.

أ- الاختيارية (البيوت).

٢- الأماكن الخاصة:

أ- المقهى.

ب- السينما.

ج- المطعم.

٣ - المحلات العامة (المكان المفتوح).

أ- الشارع.

ب- المحلات.

ج- المدينة.

٤-الأماكن الطبيعية.

أ- الحدائق.

ب- البحر[١].

ويمكن القول: إن النظر يتجه إلى المكان كشيء يحمل أكثر من دلالة أو قيمة حضارية، تتشكل تبعًا للمعطيات الثقافية للمجتمع في الفترات

(١) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٠م، ص ٤١.

الزمنية المتعددة، وعلاقة الشاعر بالمكان متعددة، وتستحضر الواقعي، والخيالي والوهمي[١].

ويحظى المكان بمساحة إبداعية واسعة في شعر فوزي خضر الذي ندرس تجليات المكان في قصائده من خلال ديوانه (تدور بي دوائري) الصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠١٥م.

(١) جريدي سليم المنصوري الثبيتي، شاعرية المكان، مطابع شركة دار العلم للطباعة والنشر، جدة ١٤١٢هـ /١٩٩٢م، ص ١٠.

المبحث الثاني

المكان في شعر فوزي خضر

ديوان (تدور بي دوائري) نموذجاً

عتبة الديوان نظرة فنية:

يضم الديوان الذي بين أيدينا ٥٧ قصيدة منها ٥٥ قصيدة تفعيلة، بعضها مقطعة: قد تكون المقاطع كلها من بحر واحد، وقد تكون من أبحر مختلفة، وقد يتخللها مقطع قصير من أبيات من البحور المركبة. أما القصيدتان الأخريان فقد اتخذتا الشكل العمودي إحداهما من مشطور البسيط، حيث يكون البيت شطرًا واحدًا منقسمًا إلى شطرين، والأخرى عبارة عن مقطع من ثلاثة أبيات من الكامل، وكل هذا التنوع الموسيقي يؤدي إلى ثراء وتنوع في الرؤية الشعرية، أو أن الرؤية الشعرية المتنوعة هي التي فرضت هذا الثراء الموسيقي.

وقد احتل بحر الخبب المرتبة الأولى في هذا الديوان (١٨ قصيدة) ثم المتقارب (١٠ قصائد) ثم الرجز (٨ قصائد) منها قصيدتان على موحد الرجز، حيث يجيء البيت عبارة عن تفعيلة واحدة، فجاءت إحداهما بالفعل على تفعيلة واحدة، والثانية من مقاطع يأتي في ختام كل مقطع تفعيلتان، ثم بحر الرمل (٤ قصائد) ثم المتدارك والكامل (قصيدتان لكل منهما) ثم الوافر (قصيدة واحدة)، ثم يضاف إلى ذلك القصائد المقطعية التي تغيرت فيها الأبحر فقصيدة (اقتسم الغرباء ثيابي) جاءت من بحر المتقارب، وجاء في أثنائها مقطع من ثلاثة أبيات عمودية على بحر الخفيف، وقصيدة (ثلاثة وجوه لهذا الغصن) من ثلاثة مقاطع جاءت كالتالي: (خبب- رجز-خبب) وقصيدة (الخروج من الشق) من خمسة مقاطع (رجز -رجز-رمل -رمل- رمل) وقصيدة (أغنية حب) جاءت على المتقارب وفيها مقطع صغير من الوافر، وقصيدة (عفراء وحكاية الموت) من أربعة مقاطع من الرجز ويبدأ المقطع الرابع بمقطع طويل: بين قوسين: من الخبب وقصيدة (العيد المنسي) من

المتقارب، لكن المطلع يبدأ بجملة من الرجز، ثم جملة من الخبب، كتقاسيم حرة قبل ثم يأتي المتقارب ويستمر حتى نهاية القصيدة(١).

ولعل عتبة الديوان (تدور بي دوائري) تضعنا في عمق الاغتراب للوهلة الأولي، حيث يعني دوامة لا متناهية وغامضة وممزوجة بالأخطار المحتومة، والدوائر هي الهزائم والدواهي وهي تدور به مما يعني أنها مستمرة في الدوران؛ لتنتهي به إلى النقطة نفسها التي بدأت منها، وإذا كان الشاعر يضعنا في حالة اغترابية منذ عتبة عنوان قصيدته من الهاوية، فإنه قد وضع عتبة أخرى بعد العنوان عبارة عن مقطع للشاعر نصيب بن رباح هذا المقطع يذوب فيه الشاعر وجدانًا وصبابة؛ ليصنع حالة من الحب والشجن قبل قصيدة ممتلئة بالحب والشجن تطرح قضية الحب، التي هي بضاعة الشاعر، مع المادة التي هي ليست بضاعته، فإما أن تفيق الحبيبة وإما الهاوية، فهي حالة جدلية بين المادة المسيطرة على عالمنا وبين الحب الصافي. تنتصر للحب الذي يمكنه أن يخرج الناس من الهاوية، يقول الشاعر في مطلع القصيدة:

أنادي على حافة الهاوية / عيونك تمسح عن جلدي الصدأ / عيونك نيل يفيض / ويجتاح في ركضه الظمأ / مدينة عشق / تغازلني في الصباح نوافذها /وتسامرني في المساء مصابيحها /وتقاسمني حجرتي الخاوية /أنادي عليك من الهاوية.

ثم ينتقل الشاعر إلى سمة عصرنا المادي، فبدلًا من أن يكون المال لحماية الحب صار هو المسيطر؛ مما أفزع الشاعر حيث يقول في القصيدة:

أنادي عليك من الهاوية وأنت على الدرب لا تسمعين /تشدك –في واجهات المحال– الفساتين /تجذب عيني –خلف الزجاج– الحقائب والأحذيه/

(١) حين انفصل الفارس عن جواده فوزي خضر في ديوان (تدور بي دوائري) عبد الناصر عيسوي مجلة الإذاعة والتليفزيون العدد ٤٢٧٤

تمدين عينيك للعطر /مبتسمًا في القوارير/ تبتسمين لوجه المساحيق/ثم إذا ما دخلت الحدائق:/لا تجدين بها الواجهات ويضحك في وجهك الشجر.

ويفند الشاعر تلك الجدلية بين الحب والمادة؛ حيث إن الحب بديل عن التشيؤ الحادث بسبب هذا الجفاف المادي، فيقول:

أحبك / حقلي أثماره ليست تقطف من واجهات المحال / أحبك/ كيف نسيت تاريخنا / جعدت شفتاي كما جعدت ذات يوم يديك / حبك من كلماتي أهب مواسم عشقي/ أكون فساتينك الباسمات / وعطرك والعقد والقبعات / أكون الطلاء المغرد فوق أظافرك الضاحكات /أكون المساحيق / لكنني لا أكون ثمار المواسم إلا إذا كنتُ أنفاسك الداعيات / ونبضات قلبك والحلم / والخطوة الآتية / أفيقي أكن حقلك المرتجي / أو دعيني أحبك من هذه الهاوية.

وقد يتخذ الاغتراب جدلية ببين ثنائية (النصر–الجرح) كما في قصيدة بعنوان (لهذا)، حيث يقول الشاعر:

لن أكتب لك شيئا هذا العام /لا شيء جديد/ لا زلت أعد العدة للحرب/ أقاتل أرجع منتصرا/ وطعينا / يشغلني تضميد جراحي عن حفل النصر/ لا زلت مكاني/ توقفني لطمات زماني/ تسرق أيامي مني ساقية العمر/ لا تمنحني ما يكفيني من ري/ لم أقبض من هذي الريح سوى كفي/ لم أغنم إلا أعداءً لا ينسون/ تتوالى الأعوام وراء الأعوام/ لا شيء جديد/ ولهذا لن أكتب لك شيئًا هذا العام.

والشاعر يقف ضد الحرب من خلال جدلية الحب والحرب، كما في قصيدة (النوافذ مفتوحة في انتظار الحلم)، وهو أيضا ضد التشيؤ كما في قصيدته (ثلاثة وجه لهذا الغصن) وتحمل قصيدة (هي طالعة) أملا في استعادة القدس، وهو يطرح في كثير من نصوص الديوان الأمل وسيلة للقضاء على اغتراب الإنسان المعاصر، أو تخفيف حدته، كما في قصيدة صغيرة بعنوان (ما زالت) وكما في قصيدة (تأتي لحظة ميلاد) حيث انفصل الفارس

عن جواده فأحدث ذلك حالة اغترابية، ولكن الشاعر لديه الأمل والرغبة الدائمة في الرجوع والاتصال وعودة الأمور إلى نصابها.

يشغل المكانُ مساحةً عريضة من شعر فوزي خضر، بخاصة في أحدث دواوينه (تدور بي دوائري)، فمنه المكان الواقعي وينقسم الى المكان العام والمكان المخصص، والمكان الخيالي والمكان التاريخي، والمكان الأليف والمكان العادي، وغير ذلك.

ويتمثل المكان في الأرض بكل ما فيها وما عليها وما فوقها، فتعامل فوزي خضر مع المكان الذي في البر، والذي في البحر، والمكان الذي في السماء، وكذلك المكان الذي بين الأرض والسماء متمثلًا في الفضاء بما يحتوي عليه من رياح وطيور، وما يضمه من آثار علوية(١) تشغل طبقات الجو؛ لذلك سوف نتناول بالدراسة المكان عند الشاعر حسب التقسيم التالي:

المكان قسمان: أولًا: واقعي ثانيًا : خيالي

أولًا : المكان الواقعي وينقسم قسمين:

أ- عام ب- مخصص

ومن ثم ينقسم المكان العام قسمين: ١- طبيعي ٢- صناعي

ثانيًا: المكان الخيالي.

هذا إجمالًا، أما التفصيل فالمكان الواقعي يشتمل على الآتي:

---

(١) الآثار العلوية مصطلح تراثي قديم يشير إلى الظواهر الجوية التي تحدث في الغلاف الغازي الأرضي كالرياح والأمطار والرعود والبروق وما شاكلها. ذكر الخوارزمي الكاتب المتوفى سنة ٣٨٧هـ هذا العلم ضمن العلم الطبيعي بقوله: وأما العلم الطبيعي فمن أقسامه علم الطب وعلم الآثار العلوية أعنى الأمطار والرياح والرعود والبروق ونحوها وعلم المعادن والنبات والحيون وطبيعة كل شيء مما تحت فلك القمر. وأقدم المؤلفات في هذا العلم كتاب الآثار العلوية لأرسطو طاليسwww.marefa.oeg ويقع علم الآثار العلوية في الوقت الحاضر ضمن علم الأنواء الجوية، عبد الأمير مؤمن، قاموس دار العلم الفلكي، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٦م.

الأول: المكان العام:

وهو مكان غير محدد، وينقسم إلى:

١- المكان الطبيعي: وهو المكان الذي لا يتدخل الإنسان في صنعه مثل: الأرض بما فيها من وديان وصحاري وجبال وغابات، وبحار وأنهار وشوطئ وخلجان. ومثل السماء بما فيها من شمس وقمر ونجوم، والفضاء وما يسبح فيه من سحب وغيوم وما يضم من طيور ورياح.

٢- المكان الصناعي: وهو المكان الذي يتدخل الإنسان في صنعه وإنشائه مثل: المدن والقصور والقلاع، والمساجد والمآذن والقباب، والشوارع والبساتين والحقول.

الثاني : المكان المخصص:

وهو المكان المحدد مثل وادي النيل، وجبل عرفات، وصحراء النفود، والخليج العربي، ومثل شمس أغسطس، وقمر النصف من شعبان، والنجم سهيل، وريح الصبا.. وما شابه ذلك.

ثانيًا : المكان الخيالي فهو مكان يبتدعه خيال الشاعر، يضم تجربة عاطفية وفكرية تجري في عالم غير عالم الواقع، وعالم خيالي بحوادث خيالية، لكنها تحدث في مكان محدد، يختاره الشاعر من مخزون معايشته للأمكنة.

أولا : المكان الواقعي :

بدايةً استخدم فوزي خضر لفظة المكان في أكثر من قصيدته في ديوانه (تدور بي دوائري، منها قوله في قصيدته المعنونة بـ (ثلاثة وجوه لهذا الغصن) :

وكان أن تغيَّر الزمان والمكان
ونبتت مدينة

أصبحت غصنًا يافعًا [١]

وفي قصيدته (هموم جبل) وهي قصيرة يذكر لفظ (مكان) خمس مرات، منها قوله:

أوقن أن مكاني موجود/يتمنى قربي/أسعى في العمر إليه/ويومًا يهديني لمكاني ربي

يومًا يهديني ربي [٢]

وفي قصيدته المعنونه بـ (لهذا) يقول :

لازلت مكاني /توقفني لطمات زماني/تسرق أيامي مني/ساقية العمر/لا تمنحني ما يكفيني

من ريٍّ

أما استخدامه للمكان فكان فيه مبدعًا حيث دار بينه وبين المكان أحاديث، وتفاعل مع المكان حسًا وشعورًا، وناغم بين الزمان والمكان، وذاب في المكان وذاب فيه المكان، فشكى منه، وشكى إليه، وشكاه لغيره، وأحبه وكرهه، وتقبله ورفضه، وغير ذلك من التفاعل الذي جعل للمكان في شعره هذه الأهمية التي لا تغفلها العين، وخاصة أن الشاعر قضى مدَّةً طويلة من حياته مغتربًا في المملكة العربية السعودية، وقد سّعِدتُ بصحبته لمدة سبع سنوات زاملته خلالها أستاذا بجامعة الطائف.

وقد اشتمل المكان الواقعي على مكان طبيعي ومكان صناعي، وقد قسمت المكان الطبيعي إلى:

١- مكان طبيعي أرضي عام طبيعي مثل الأرض والصحراء الخ

٢- مكان صناعي: فمثل البيت القصر المدينة الشارع الخ أرضي.

٣- وفضائي.

---

(١) ديوان تدور بي دوائري د. فوزي خضر الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٥ م.

(٢) السابق ١٣٤.

٤- وبحري .

(١) المكان الواقعي العام الطبيعي الأرضي:

١- الأرض:

ذكر فوزي خضر الأرض كمكان ينتمي إليه في أكثر من عشرة مواضع في ديوانه (تدور بي دوائري) منها قوله:

أني حرفُ سمائي/ وأني مهجة أرضي /فهل تعلمين/بأنك كنت البنان الذي قال: امض ؟؟؟[١]

ويقول أيضًا:

ويضحكك في وجهك الشجر/يطل من الأرض نبتٌ/

يهز بقلبك نبتا ويهطل من صدرك المطر[٢]

فالأرض هي السكن والمستقر منها خرجنا وإليها نعود، ثم نخرج منها تارة أخرى، قال تعالى: **(منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)**[٣].

ونرى الشاعر يفلق الأرض، ويخرج منها، وينظر حوله، ثم يُلقى تحية الصباح، يقول أيضا:

أفلق سطح الأرض/ وأخرج أتلفت حولي/ أنظر فوقي أطلق في الأجواء/ صباح الخير[٤]

ثم يصور نفسه بنبتة لا حياة لها إلا بجذورها الممتدة في داخل الأرض حتى تكبر وتنمو أغصانًا وفروعا، يقول:

أترك جذري .../ يمتد في الأرض على استحياء /أحلم أن أكبر أن أصبح غصنًا

---

(١) ديوان تدور بي دوائري ص ٩.

(٢) السابق ٢٩.

(٣) سورة طه آية ٥٥.

(٤) السابق ٣١.

وفي قرب نهاية القصيدة يعيد ويؤكد على صورته التي رسمها لنفسه بأنه غصن لا حياة له إلا وهو مغروس في الأرض، يقول:

فأنا لا أقبل إلا أن أصبح غصنًا/أركض.. أركض../ أتخطى أسوار مدينتكم/أغرس جذري في الأرض /أمد يدي إلى أعلى /وأنادي يا أطيار العالم/ إني عش الأعشاش[١]

وهو بذلك يعلن تمسكه بوطنه وأرضه، فإن كان فارقها بجسده إلا أن جذوره مغروسة داخل وطنه وإن طالت أغصانه مدنًا وبلادًا كثيرة.

ويرى فوزي خضر أن هناك قطعة من الأرض مقدسة وهي مغايرة لأيّ أرض أخرى؛ لأنها موصولة بالسماء، وتلك هي مكة المكرمة يقول مخاطبًا لها:

يهتز قلبي حين تنظرك العيون/يسيل منها توبة ندم؟/أم يا ترى فرح اللقاء؟/بساحة في الأرض

قد وُصِلَتْ بأدراج الأعالي؟

وفي نهاية القصيدة يعيد هذا الربط بين السماء والأرض، ويطلق على الأرض (الساحة البيضاء)، ويسجد في الأرض؛ ليصل إلى القرب من السماء مصداقًا لقوله تعالي (فاسجد واقترب)[٢] يقول:

في الساحة البيضاء يتسع الفضاء / في الساحة البيضاء يُختَصَرُ الوجود/ ورفعت عيني للسماء / سرحتُ في أعلى الأعالي/ ثم انثنيتُ../ أطلتُ في الأرض السجود/ أطلتُ في الأرض السجود[٣]

ويزاوج بين معنى الأرض وهي الوطن الذي تركه مرغمًا، وهاجر منه بعد أن ضاق به، ولم يجد فيه مكانًا من كثرة الزحام حوله، وبين الغربة الفعلية التي يحسها ويعيشها في وطنه، يقول:

---

(١) السابق ٣٤

(٢) العلق آية ١٩

(٣) ديوان تدور بي دوائري ١١١

لو حجرًا كنتُ/لأمكنني أن أجد مكانًا/بجوار جدار/أو أُلقِى الجسد المجهد/في أحد الأركان/أبحث عن مأوى/كانت تتزاحم في الأرض بنايات/وديانٌ.. ورواب .. أنهار/لم ألق مكانًا يكفيني/هل حُكِمَ عليَّ بأنْ أتفتت/ أن أنهار /كي أجد مكانًا في أرضي؟[١]

ويصور ألمه وغربته في أرض غريبة اضطر إليها اضطرارًا، وهي تتمسك به ولا تريد فكاكه، وهو يحاول الفكاك والخلاص والعودة إلى حياته الأولى ووطنه الحبيب، ويؤكد أنه مهما لاقى من غربته تكريمًا أو نعيمًا، فإنه أبدًا لن يرضي بأن تكون هذه الأرض الجديدة بديلًا عن أرضه، ويأبي خُلق الجواد (كما يصور نفسه دائما بالجواد) أن يرضى بالخنوع والاستسلام .. يقول في قصيدة بعنوان (خُلق الجواد):

ساختْ بأرضِكِ ساقي/ وأنا الذي قد كنتُ أركض في الزمان الباقي/ علِّي أعانق صفحةَ الآفاق/ لكن أرضك.. كبلتني/ وأنا المعاند/ كيف أقنع بالرضا في ساحة/ تمتد فيها بعدها أحداقي/ لا/ تأملي أني سأمكث خانعًا/ لن أرتضي بالصبر/ أو أُلْقِي بقايا العمر / و أرضى بأنياب الوثاق/ إني أعافرُ صاعدًا/ متملصًا من قبضة / شَلَّتْ بأرضك ساقي/ لا يرتضي خلق الجواد / قيدا..
ولو كان البراح.[٢]

فالقصيدة تعبير عن معاناته النفسية بين الأرض الغريبة التي تحتضنه، والأرض البعيدة الحبيبة التي ابتعد عنها ويشتاقها ويحن إليها، ويصور ذلك بصورة جواد غاصت أقدامه في الرمل ويحاول الخروج وكلما حاول تغوص أقدامه أكثر وتتمسك به الأرض أكثر، وهو يحاول ولن يفقد الأمل، فأخلاق الجواد تأبي القيد وترفض الحبس حتى لو كان في أرض براح واسعة، فهو يرفض فكرة القيد مهما كان شكلها.

(١) السابق ١٣٣/١٣٤
(٢) السابق ١٤٣/١٤٤

ونراه يزاوج بين النيل والأرض؛ فهما يشكلان المكان بما فيه من أشكال الحياة، فالنيل هو الماء الذي منه كل شيء حيّ، والأرض هي الأم والرحم، وحينما يمتزج النيل مع الأرض فذلك إيذان بقدوم الخير وانتعاش الحياة، وبزوغ الخير من سنابل وزهر ووعود وأغاريد ورعاه .... يقول في قصيدة "أنغام هادئة":

الجِمالُ الخضرُ في الدربِ إليك/ تحمل المهر بذورًا/ فازرعيها/ تنبتُ الأرض شفاها/ تنطق الغيب/ وروِّيها/ تَرِيْها أثمرتْ حَبًّا وطيرًا ومشاعل/ فابشري وانتظري/ فالجِمال الخضر في الدرب إليك/وخطاها/أنهر تجري ... وزهر.. وسنابل / وحمام .. ورسائل / ووعود وأغاريد رعاه[١]

وفي قصيدة "أغنية حب" يقول:

وألقي على قدميك السنابل/ أحكي عن النيل والأرض في قريتي/والعصافير والفجر والناس والأغنيات[٢].

وحينما تَحْدُث الخيانة فإن الشاعر يرى ذلك ينعكس على المكان والأرض، فالأرض تصبح خرساء – كما يصورها– وهي آنذاك لا تنتج ولا تزرع ولا تثمر، فينشر الجوع والفقر وكأنه لا نيل، وكأن الأرض أصبحت بيداء مقفرة .. يقول في قصيدة "مناجاة":

يـــا أيهـــا الـــوطن ... قـــد باعـــك الجبنـــاء
لم يبـــق لي ســـكن ... في أرضـــك الخرســـاء
الجـــوع أنبـــت جيـــلْ ... تجتاحـــه البغضـــاء
كأنـــه لا نيـــل ... وأرضـــنا الخضـــراء
كأنهـــا رمـــل ... كأنهـــا بيـــداء[٣]

(١) السابق ١٥
(٢) السابق ٧٦
(٣) السابق ٧٩

وغير ذكره للأرض ذكر أماكن في الأرض طبيعية كثيرة منها: الطريق، الحقول، الحداق، الغابات، البلاد، الجبال، الطين، النيل، الوطن، الكن، الدول، القبور، الصحراء، القرية، الرمال، وغيرها ويكفي أن نأخذ مثالًا واحدا لكل عنصر، ونشير في الهامش إلى المواطن الأخرى في ديوانه التي ذكر فيها المكان.

*** التراب**

ذكر فوزي خضر التراب في أربعة مواضع(١)، منها قوله:

أن ألف مئذنة–رغم هدمي– أقوم وامضي فلا تسأليني لأينا

لقد كنتُ أبغيك سنبلة/ حفنة من مياه/ وهانتذي في التراب / تراب.

إنه يخاطب محبوبته التي فارقته، وفرق الموت بينهما فسكنت التراب، بل تحولت لتراب، فكل ما فوق التراب تراب، قد كان يرجو لها البقاء والحياة، ولكن غيبها التراب.

وذكر التراب هنا كمكان جئنا منه وإليه نعود يقصد به المقابر، وهناك من يسميها (التُرَب) نسبة إلى التراب، قال تعالى: (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)(٢).

*** الطريق والدرب**

ذكر فوزي خضر الطريق في ستة موضع(٣) من ديوانه. ومن ذكر الطريق قوله:

فمن تُرى../ يودِّعُ المسافر؟ / والصمت والأشباح في الطريق

سبق وذكرنا أن الشاعر كثير الأسفار، وعاش جُلَّ حياته مغتربا، فالطريق والسفر والدروب تعرفه ويعرفها وتألفه ويألفها، فيعلم أنه بمجرد حمل

(١) انظر ديوان تدور بي دوائري ص ١٤٧،٤٧،١١،١٠

(٢) سورة طه ٥٥

(٣) السابق ١٢،٢٧، ٤٣، ٨١، ١٢١، ١٢٢ .

الحقيبة والسفر وحيدًا يجد الصمت والخيالات والأشباح تطارده طوال الطريق، وكل من سافر يستذكر في طريقه الأهل والأحبة، ويخاف مما هو قادم.

*** الحقول**

جاء ذكر الحقول في الديوان مرتين، منها قوله:

يا راحلًا/ وجانباك مسكن الحقول / إذا وصلتَ / هل يكونون على الطريق في انتظار وجهك القديم؟

فالحديث لا يزال عن السفر، نراه يذكر عدة أماكن في هذا المقطع منها (مسكن الحقول)، وهذا مكان ميتافيزيقي متخيل، والحقول مكان، والطريق مكان.

والمعنى: يخاطب الشاعر نفسه – فهو الراحل دائمًا – بأنه الراحل وفي جانبيه الحقول، فهو يحمل الوطن والحقول بداخله، كما يحمل الشخوص والذكريات، ويتساءل: هل حينما يعود بعد زمن طويل سيجد من تركهم ينتظرونه على الطريق؟ ويرونه ذاك الشخص الذي سافر منذ زمن بعيد، ولم تغير فيه الأيام شيئًا فهو بصورته ونفسه القديمة.

*** الحدائق**

جاء ذكر الحدائق في الديوان عدة مرات، منها قوله:

تبتسمين لوجه المساحيق / ثم إذا ما دخلت الحدائق / لا تجدين بها اللوحات / ويضحك في وجهك الشجر[١]

وله أيضًا قوله:

* الجبل – الجبال

جاء ذكر الجبل والجبال قرابة العشر مرات [٢]

(١) السابق ٢٩.

(٢) انظر الديوان ص ٥، ٧٢، ٧٩، ١٠٩، ١١٥، ١٣٣، ١٤٧ وغيرها.

ولعل أول قصيدة في الديوان بعنوان (ألوان) هي ترجمة لفلسفة الشاعر عن بداية الكون وبدأ الخليقة، فهو يرى كل ما في الحياة قد بدأ بجبل ينهار فيتكون منه بقية المخلوقات، وهو أيضًا دلالة على شموخ الشاعر واعتزازه بنفسه، وتلك حقيقة لمستها بنفسي؛ فالشاعر عظيم الاعتزاز بنفسه فهو جبل شامخ، وجواد جامح، ... يقول:

جبل ينهار / كانت تتماسك فيه الأحجار / والآن تفلت أيد من أيد / حين تفجر بركان في قدميه/ يطلق أنهارًا حمرا

****

جبل يركض / تتناثر منه الأحجار / تقفز منه كي تنقذ أنفسها / تتدحرج في دنيا شاسعة /حجرًا حجرًا

حجـــــــــــــرًا أزرق يتمطـــــى يصـــــبح بحـــــرا

حجـــــــــرًا أصـــــــــفر يتمـــــدد يغـــدو صـــــخرا

حجـــــــــرًا أخضـــــــــر يتـــنفس أيامًـــا خضـــرا[1]

وفي قصيدة بعنوان (مكة) بدأها بذكر جبال مكة الشماء، فقال:

بين الجبال الشم ترتاحين صابحة / بأطراف النهار وفي الليالي / كيف العتيق يظل دومًا طازجا؟/ يهتز قلبي حين تنظرك العيون / يسيل منها توبة ندم؟/ أم يا ترى فرح اللقاء / بساحة في الأرض / قد وصلت بأدراج الأعالي؟[2]

* الصحراء

استخدم فوزي خضر الصحراء في مواطن كثيرة من ديوانه، فاستخدم الصحراء والصحارى والبيداء، وسبق وذكرنا أن الشاعر عاش سنوات طويلة من حياته في المملكة العربية السعودية، وقبلها عاش في ليبيا، وهاتان الدولتان تتميزان بطبيعتهما الصحراوية، فمن ذلك قوله:

---

(١) ديوان تدور بي دوائري ص ٥،٦

(٢) السابق ١٠٩

حجر أزرق /.....يتمدد يغدو صحراء[١]

وقوله:

رحلت في الصحراء دونما عيون /مقطَّع اليدين /أحمل في – في جيبي– جفوني الممزقة[٢]

وقوله:

وأرضنا الخضراء /كأنها رمل، كأنها بيداء[٣]

وقوله:

تُجمِّعنا الحرب: قبضه/نشق الصحاري /تطير بنا العربات /ومن حولنا – في الرمال– تطير الجبال /يطير السحاب، يطير الضياء، يطير الدجى /ونشق الصحاري[٤]

: تشق الصحاري ../لكي يصحو الطفل من نومه باسمًا تُشق الصحارى ....

*** القبر – والقبور**

يذكر القبر حين يرثي أباه في قصيدة بعنوان: (البحث عن مواضع الأقدام) عدة مرات، منها قوله في ختامها:

يا قبر أبي / في صدري أنت / وما ينبض في شرياني ليس نماء/ لكن أعشابًا بريه

تنبت حول القبر[٥]

*** القرية**

القرية هي ملاعب الصبا للشاعر، وهي في خياله وذاكرته، وحين يذكرها ينسبها إلى نفسه حبًا وانتماء، يقول:

---

(١) السابق ص ٦

(٢) السابق ٩٩

(٣) السابق ٧٩

(٤) السابق ١٠٤

(٥) السابق ٩٤

وألقي على قدميك السنابل/ أحكي عن النيل والأرض في قريتي /والعصافير و الفجر والأغنيات [١]

كما يذكر الغابات، وبلاد الطين، والرمال، وغيرها من الأماكن الأرضية الطبيعية التي لها في نفسه أثر وفي شعره مكان.

(٢) المكان الواقعي الأرضي العام الصناعي:

المكان الصناعي: هو المكان الذي يتدخل الإنسان في صنعه وإنشائه، مثل: المدن والقصور والقلاع، والمساجد والمآذن والقباب، والشوارع والبساتين والحقول.

ولهذا المكان وجود متميز عند فوزي خضر، فنراه يذكر المدن والشوارع والدور والبيوت والفنادق والقصور والمدارس والرصيف وواجهات المحال والحجرات وغيرها، وكأنه يمتزج بها امتزاجًا حين يكون المكان محببًا أليفًا، وحين يشعر بالغربة والوحدة يصبح المكان غير أليف وغير محبب، وأرى أن الشاعر عاش جل حياته في المدن والحواضر الكبيرة، مثل: الإسكندرية والقاهرة في مصر، والطائف بالسعودية؛ فهو محب للمدينة عاشق لها، ولا نرى أثر القرية في شعره إلا نذرًا قليلًا، وسوف يتضح لنا من خلال التحليل مدى تآلفه مع المكان من عدمه.

١- المدن:

يأتي ذكر المدينة تحت مسمى (المدن المستبدة) حينما يستشعر أنه غريب في بلاد بعيدة، وربما هاجمه الموت وحيدًا غريبًا بلا أهل أو ولد، فيأتي الغرباء فيقتسمون حاجياته، وقد عنون القصيدة بـ(اقتسم الغرباء ثيابي)[٢] وتلك وتلك المدن المستبدة لا تعرف الرحمة بالغرباء، ألفة بينه وبينها ... يقول:

وقفت غريبًا/ وفاجأني الصمت في لحظة الحكم/ فاقتسم الغرباء ثيابي ...

(١) السابق ٧٦

(٢) السابق ١٩-٢٢

ومنها:

ويضحك خوفي فالصيف كان يفرقنا

راميا بي – لأرصفة المدن المستبدة.

ويعود ليذكر رصيف المدن القاسية المستبدة في ذات القصيدة مرة أخرى فيقول:

يجوع بأرصفة المدن الغرباء

بأمعائهم لغة غاضبة.

فكما ترى؛ فالمكان بلا ألفة أو محبة فهو غريب وحيد والمدن المستبدة – كما يرى – لا ترحم الغرباء، ولكن حين يعود إلى وطنه وأهله تكون المدينة محببة إلى قلبه؛ فتلك المدينة هي مدينة عشق وحب ... يقول:

أنادي على حافة الهاوية /عيونك تمسح عن جلدي الصدأ/عيونك نيل يفيض/ويجتاح في ركضه الظمأ/مدينة عشق تراودني في الصباح نوافذها[١]

وفي قصيدة (اقتسم الغرباء ثيابي) يطلق على المدن جمعا آخر، وهو (المدائن)، فيقول:

فيضحك قلبي منتشيًا بالمدائن.

وفي قصيدته (العيد منسي)[٢] يصاحب المدينة، ويرافقها، ويسير مع شوارعها، وتحادثة أرصفة الشوارع وواجهات المحال.

– وقد يستخدم المدن المجازية، كقوله:

فعلِّمنا السير إلى مدن الحرف

إنا نعدو في طرقات رعناء[٣]

وفي القصيدة ذاتها يذكر المدن والمدينة مرة أخرى.

وله أيضًا في استخدام المدن مجازا قوله:

---

(١) السابق ٢٧

(٢) راجع ص ١١٣–١١٥

(٣) السابق ١١٦

وجهه لغةٌ/ تستبيح بكارة كل الحروف الوليدة/ وجهه مدن/ فاعرفوا المدن التائهة[١].

كما يذكر مدنًا بأسمائها، مثل: مكة والمدينة والقدس، ويعنون قصيدة بـ "مكة" [٢].

٢- الشوارع:

هي المتنفس للناس حين تزكمهم حوائط الدور، وتضيق بهم جدران المنازل، فيخرجون إلى الشوارع وفسحتها، وتنطلق معهم آمالهم، فمنهم من يذهب للعمل وطلب الرزق، ومنهم من يخرج لفسحة الشارع منطلقًا نحو مآرب يبتغيها، فهذا يتنسم الهواء، وذاك يتنزه ويحتفل، وذاك يحكي همه للأرصفة إلخ، فالشارع مكان مألوف عند أغلب الناس، وعند بعضهم مكان للخوف والرعب، والأمن بالنسبة للأخير يكون في البيت.

وشاعرنا ـ في أغلب الأحايين ـ يرى الشارع مكانًا مألوفًا محببًا، يرى فيه الحرية والانطلاق والمتعة، فهو يلفها حول خصره، ويرقص بها رقصة محببة. يقول:

حينًا....
ألفٌ حول خصري – راقصًا–
شوارع المدينه
أرى الدكاكين تناثرت بضاعة ومشترين
أرى مليكها البدين
معلقا من رجليه في طرف الحزام
تفاجئني الضحكات [٣]

(١) السابق ١١٩
(٢)١٠٩
(٣) السابق ٥٩

وقد توقظه ضحكة لأحد المارة في الشوارع، وهو نائم في أسرة أحد الفنادق، فيقوم ليرقب السماء ونجومها، ويتذكر أحبته .. يقول:

فوق أسرة هذي الفنادق/ توقظني ضحكة في الشوارع / في ليلة تتورم فيها الدقائق/ أنظر نحو السماء .. فألمح نجمًا/ يضيء ويغمض / ثم يضيء ويغمض[١]

ويؤكد شاعرنا أنه يرى الشارع مكانًا أليفًا محببًا، حتى أنه يصور نفسه جزءًا من هذا الشارع، وكأنه ينبت في الشارع كالنباتات، فيقف ثابتا شامخا يرقب كل المشاهد .. يقول:

فجأة تجدين الذي غاب / يضحك بين يديك مساءَ/ نابتًا في الشوارع / ينظر في واجهات المنازل / يمشي ..../ تُحيِّيه عبر الطريق المصابيح / يضحك في واجهات المحلات [٢]

فربما عاد فجأة بعد غياب طويل، ووقف بين يدي حبيبته ضاحكا سعيدًا، وكأنما نبت في شوارع المدينة، يعرف كل شيء فيها، وتجمعه الألفة بكل مكونات الشارع؛ من محال ولافتات ومصابيح.

وكما صور نفسه نباتًا في النموذج السابق عاد وصور نفسه غصنًا نبت في الشارع، وانطلق فيه بحرية وأمان، ولا يرضى أن يكون غير ذلك، يقول:

(آهٍ.. مَن يُرجِعُنِي غصنًا ؟؟)

أخلع ثوبي../ أجري في الشارع عريانًا/ اتخذوني أنتم خشبًا في مدفأة/ أو كرسيًا أو ما شئتم / فأنا لا أقبل إلا / أن أصبح غصنًا[٣]

(١) السابق ٤٦
(٢) السابق ٤٣
(٣) السابق ٣٤

ويكرر تلك الصورة التي تخلع فيها الأشياء ثيابها وستوره، وتتجرد من الحجب، وتنطلق بلا قيود أو حواجز، فكما خلع الغصن ثيابه، كذلك تخلع الكتب ثيابها، وتخرج راكضة في الشوارع ... يقول:

تهُبُّ مِن الرفِّ كُتبي/ وتخرج راكضة في الشوارع/ تخلع عنها الثياب/ تولول/ تلطم وجهها / وتهيل التراب على رأسها/ تتكوم فوق الرصيف[١]

فالشارع مكان مألوف لدى الشاعر ومحبب له، وربما أُرجع سبب ذلك إلى الغربة المكانية التي عاشها الشاعر دهرًا طويلًا، فكانت غرف الفنادق بمثابة السجن والوحدة، ويرى في الشارع الحرية والانطلاق والأمن من الوحدة، كذلك حين يعود إلى وطنه في الإجازة يسير في شوارع مدينته مستمتعًا بألفة المكان وذكرياته فيه، فكلا الشارعين محبب له مألوف عنده.

٣- الرصيف:

جاء ذكر الرصيف عدة مرات عند فوزي خضر، وقد ارتبط ذكر الرصيف مع المفهوم السائد لدى الناس بارتباط الرصيف بالمشردين والغرباء، فالرصيف هو مكان للبؤساء، وللذين يسميهم كثيرون خطأ: (أبناء الشوارع)، والذين لا يملكون سقفًا يستظلون به، وكذلك هو مكان للغرباء الذين انقطعت بهم السبل، وليس لهم مأوى .... يقول:

كان يراقبني مطر / كان يشهد جوعي / وفات يدق النوافذ/ ما فُتحت يومها / قال: فوق الرصيف غريب / فما سمعته القلوب / وجاء يراقبني اليوم/ جاء يدق نوافذ بيتي /يقول: يجوع بأرصفة المدن الغرباء[٢]

فكما أن الرصيف مكان للغرباء والمشردين الذين لا يعرفون الاستقرار، كذلك هو مكان للباعة الجائلين الذين لا يعرفون الاستقرار، فليس لديهم مكان

(١) السابق ١٢٤
(٢) السابق ٢١

ثابت؛ لذا فهم يبيعون البضائع خفيفة الوزن رخيصة السعر، وليس لديهم مع هذا المكان ألفة ولا مودة ... يقول:

تهيل التراب على رأسها / تتكوم فوق الرصيف / تبيع المشدات والروج للعابرات / تبيع طلاء الاظافر والأحزمة / أقول لها: كيف أصبحت بائعة في الشوارع؟[١]

٤- الديار والبيوت والفنادق والقصور:

يستخدم فوزي خضر هذه الأماكن الحضارية الصناعية في شعره وهو يجد فيها الألفة والسكن فيها؛ فهو محب للحياة المدنية الحضارية، مغرم بالمدن الكبيرة وما فيها من أسباب الحياة والتقدم .

نراه يطلب إلى محبوبته أن تكون له الرحمة والمطر والدار والسكن ... يقول:

وكوني رحمة الأمطار/ تأتي فجأة في موسم النار/ وكوني – ليلة– داري/ فإنَّ الليل قطَّعني / وقدَّمني بمأدبة البلاد الطين[٢]

والدار هي الحضن والدفء، فحين مات أبوه ـ وبعد تشييع الجنازة ـ يقول له المعزون:

(مراسم موت أبيك انتهت

فعد يا صغير إلى حضن دارك)[٣]

ويذكر (البيوت) الفخمة التي يدخلها ويجلس فيها، وهي دلالة على التقدم والرفاهية، ففيها أجهزة التكييف التي تفعل بالهواء ما يفعله النسيم العليل في صيف حار، وكذلك بها من الأطعمة ما لذ وطاب ... يقول:

---

(١) السابق ١٢٤

(٢) السابق ٧٣

(٣) السابق ٩٣

أدخل في البيوت / أجلس في قاعاتها المكيَّفه/ يعرض نفسه الطعام كي أعيث فيه (١)

ومن البيوت من لها خصيصة دون غيرها، فليست بيوت مكة ككل البيوت، فالقادم إلى مكة حين يستشرف منازلها وبيوتها من بعيد يحس بفرحة تغمره، وسكينة تملؤه، وقدسية تكسوه.

وليس كل بيوت مكة سواء؛ فبيت الله الحرام غير كل بيوت الله على وجه الأرض، فهذا البيت موصول بعرش الرحمن، وهو بشموخه وشممه أعلى من كل الجبال الشُّم، فلهذا المكان ما ليس لغيره من الرفعة والشموخ والقدسية ... يقول:

يهتزُّ قلبي / حين تبدو للعيون بيوت مكة/ ها هنا درج العوالي / يهتز قلبي / داعيًا وملبيا/ أيقنت أن البيت / موصول بعرش الله / أنَّ البيت أعلى من عليَّات../ بهامات الجبال الشم / أعلى هامة / من كل ما في الأرض من عالي (٢)

كما يذكر أماكن أخرى، مثل: واجهات المحلات والدكاكين والبيوت، فضلًا عن القصور والفنادق، كل تلك تمثل – أغلبها – أماكن مألوفة لدى الشاعر، وكلها من الأماكن الأرضية الواقعية الصناعية العامة.

(٣) المكان الواقعي العام الطبيعي الفضائي:

السماء:

هي المكان الأرحب في الكون، فمتى ضاقت بالإنسان أسباب الأرض تعلق بأسباب السماء، ففيها الفسحة والراحة والعظمة والعلو، ومن خالقها نستمد العون وإليه يرفع الدعاء.

(١) السابق ٣٣
(٢) السابق ١١٠

وشاعرنا شديد الاعتزاز بالنفس، يرى في نفسه أنه يشبه السماء في عطائها، وفي معرفة البشر، ولديه الخبرة التي تمكنه من معرفتهم ... يقول:

أتيتُ كالسماء /منفجرًا كالرعد/مختطفًا كالبرق/مؤتلفًا في ليلة العشاق [١]

وقد يأتي ليس كالسماء، وإنما وهو يحمل السماء في يديه؛ دلالة على ما يحمله من خير وسعادة ... يقول:

وإذا جاءكم جاءكم فجأة / في يديه السماء / فغنوا له[٢]

وفي قصيدته (الرحلة في مدن الأسماء) ـ وهي من قصائد مدح النبي ﷺ ـ يصور الشاعرُ النبيَّ بأن على جفنيه بلادًا تتلألأ نورًا وضياء وفرحة وأملًا، فانفرط عقد الخوف، وتبدد شمله، وأطل الأمل من عيونه كالسماء الصافية الواسعة، ورسم السعادة بابتسامة رائقة، وربَّتَ على أكتافنا ومضى ... يقول الشاعر :

وأتيتَ وعلى جفنيكَ بلادٌ تتلألأ/ وانفرط الخوف / أطلت من عينيك سماء/ وضحكت لنا / ربَّتَّ على أكتافنا / ومضيتَ [٣].

وفي قصيدته المعنونة (السماء.. خاتمًا من الألماس) ينظر الشاعر إلى السماء على أنها مقياس للراحة أو الضيق، فكلما كان الإنسان في حالة نفسية جيدة كانت رحابة السماء واتساعها أمام ناظريه، وإذا كانت حالته النفسية سيئة كانت السماء أضيق من خاتم في إصبعه .. يقول:

أصعد أصعد / هأنذا فوق قمتك الأبدية / تَرْحُبُ في مقلتي السماء البعيدة / أزعق وحدي تدفعني الريح

..... ومنها قوله:

– لماذا صمتَّ؟

– أنا: شجَّت اللحظة المستبدة رأسي

---

(١) السابق ١١– ١٢

(٢) السابق ١٢٠

(٣) السابق ١١٧

– تضيق السماء / فتصبح خاتم ماس / يضيق على رقبتي / وأفتحها فتضيق على رقبتي / أتوسل أبكي لها / فتضيق على رقبتي[١]

وساعة الفرح تطل السماء راقصة في العيون الضاحكة .... يقول:

وتفقس عبرخطاه البراعم

تضحك في مقلتيه السماء[٢]

وحين الحزن تنشق السماء، وتبدو مظلمة بلا ضياء ...يقول راثيًا:

قُتلتُ يا صديق في بداية الطريق

شققتُ جبهة السماء في تساقطي

.....

أصرخ في البين:

كيف أتيت والسماء ما لها ضياء؟! [٣]

وساعات أخرى للحزن، الطريق فيها بكاء، والسماء غير السماء... يقول:

كان الطريق بكاء ...وكان / بائعا بالسماء سماء ...وكان / سامقًا كالرياح ...وكان /وجهه لغة [٤]

كما يستخدم الشمس في أكثر من موضع في ديوانه، ومن تلك المواضع حين يصور نفسه كنورس مستبد قوي يسافر إلى ساحل الشمس، فينزع منها الحريق ويقذفه في البحار فتغلي ... يقول:

.....

وأرحل كالنورس المستبد إلى ساحل الشمس

أنزع منها الحريق، وأقذفه في البحار فتغلي[٥]

---

(١) السابق ٢٤–٢٥

(٢) السابق ١٢١

(٣) السابق ٩٨

(٤) السابق ١٢٢

(٥) السابق ٧٦

كما يصور نفسه فارسًا، ويصور الشمس حصانًا، وهو يمتطي صهوته وفي يده لجامها، يقول:

فها أنا أتيتُ

في يدي لجام الشمس والرياح [١]

وترِدُ الشمس في دوائر الشاعر بعدة صور – غير ما ذكرنا آنفًا – من ذلك حين يجعل دائرة العودة لمحبوبته نورا يكشف كل ظلام، ويصبح سببًا في خروج شمس الصباح فرحة سعيدة تقبل أجفان المحبين .... يقول:

غدًا سآتيك نورًا،

جوابًا لكل سؤال

لتخرج شمس الصباح تقبل أجفاننا [٢]

وكذلك الدائرة المقابلة هي دائرة السفر والابتعاد، وتلك الدائرة تجعل الوجوه شاحبة، ويمضي يجرجر ضلوعه، ويرفع جمجمته بيديه كلما هوت منه إلى الأرض، ولا يخفى أن تلك الصورة الباكية الحزينة دلالة على حزنه الكبير الذي ألم به ساعة السفر، ويجعل من الشمس شريكًا ومكونًا من مكونات الصورة ... يقول:

وهأنذا قد مضيتُ/ أجرجر خلفي ضلوعي / وأرفع جمجمتي بيدي / فتهوي عليَّ/ فأرفعها ... وأسير/ فهل تشعرين بما فوق هذي الوجوه/ تَأَلَّقُ شمسًا / وتحمل نفسًا/ بها من تجاعيد هذي السنين سمات [٣]

كما يجمع بين عدد من الظواهر الطبيعية الفضائية في مكان واحد، وذلك في قصيدة (المجيء) يقول:

أتيت كالسماء

منفجرًا كالرعد

---

(١) السابق ١٣

(٢) السابق ٧٧

(٣) السابق ٩س

مختطفًا كالبرق[١]

وحين يذكر مكة المكرمة يرى أنها قد وُصِلتْ أرضها بالسماء في إشارة إلى مكانتها المقدسة في قلوب المسلمين، وما لها من خصوصية عن بقية البلاد؛ فهي مكان الألفة والطمأنينة والسكينة، فيها يرفع الدعاء وتستقبل بركات السماء ...يقول:

يهتز قلبي حين تنظرك العيون
يسيل منها توبة؟ ندم؟
أم يا ترى فرح اللقاء
بساحة في الأرض
قد وصلت بأدراج الأعالي؟[٢]

وتتزاحم الفضائيات في قصيدة (البحث عن ينابيع النور) ما بين نجوم وأقمار وليل ساهر وسحاب مظلم ومطر وغيرها ... يقول:

أعود يا باب السنين / على جفوني حفنة من النجوم تأتلق/ وفي ضلوعي تنحني الطرق / وفي عيوني ألف ليل ساهر / يسأل عنكا/ تهمهم الأقمار في دمي / ويهبط السحاب في عيوني مظلمًا/ يمطر شوكًا/ وأنت لم تزل مقطبا/ ألا تعيد لي إشراقتي في يومي الموعود؟[٣]

وهكذا يتمتع شاعرنا بروعة في مشاركة المكان له في أفراحه وأتراحه، ومشاعره ونبضاته، في صورة كلية تجمع في أطرها تناغم الإنسان مع محيطة وتفاعله مع عالمه.

(١) السابق ١٢
(٢) السابق ١٢٠
(٣) السابق ١٢٧

ثانيا: المكان المخصص:

وهو المكان المحدد، مثل: وادي النيل، وجبل عرفات، وصحراء النفود، والخليج العربي، ومثل شمس أغسطس، وقمر النصف من شعبان، والنجم سهيل، وريح الصبا.. وما شابه ذلك.

وتلك الأماكن كثيرة في الديوان، وهي قريبة لمن ينشدها؛ ولذا سآخذ نماذج قليلة لها تبين الغرض وتوضح المقصد، من ذلك ما ذكره من أماكن مخصصة في قصيدة (مكة)، مثل: عرش الرحمن، الساحة البيضاء، الجبال الشم، أرض بها سار الرسول، بيوت مكة، وغيرها، يقول:

حين تبدو للعيون بيوت مكه / هنا درج العوالي
هتز قلبي داعيًا وملبيا
أيقنت أن البيت موصول بعرش الله
أن البيت أعلى من عليَّات بهامات الجبال الشم
أعلى هامة من كل – ما في الأرض– عالي
في الساحة البيضاء بشرني فؤادي
بالحصاد وبالقطاف
وريت كيف الطير حول البيت طاف
وأتت فراشات لطاف
فتزاحمت وتقاربت وتباعدت
أرواح من تلك التي جاءت فراشات
تطوف على رؤوس الناس
داعية بمغفرة لهم؟[1]

ويشير الشاعر إلى سماء بعينها تلك (السماء الذهبية و العيون الأبدية)، يقول:

(١) السابق ١١٠-١١١

كيف يبدو عندكم خدُّ السماء الذهبية؟
كيف تبدو في ردائك
والعيون الأبدية
كيف تبدو والأرائك؟[١]

كما يخصص شمسًا أخرى، أو الشمس في حالة أخرى، وتلك هي شمس الصباح، حين تقبل الأجفان وتوقظ النيام .. يقول:

غدًا سآتيك نورا، جوابًا لكل سؤال / لتخرج شمس الصباح تقبل أجفاننا[٢]

والديوان به كثير من هذه الأماكن المخصصة، والتي لها في نفس الشاعر أثر خاص أو مكانة خاصة عن غيرها من الأماكن.

ثانيًا: المكان الخيالي:

هو مكان يبتدعه خيال الشاعر، يضم تجربة عاطفية وفكرية تجري في عالم غير عالم الواقع، عالم خيالي بحوادث خيالية، لكنها تحدث في مكان محدد، يختاره الشاعر من مخزون معايشته للأمكنة، وهي أماكن مجازية من صنع الخيال، وليس لها وجود فعلي على أرض الواقع، وذلك مثل بحر الضجر، مواسم العشق، المدائن الجسدية، بحر الدماء، مملكة الموت، بطون الحقول ...الخ

وتلك الأماكن هي الأكثر إبداعًا وتميزا لدى الشاعر، فهو لا يجد في الواقع ما يوضح فكرته ويعبر عن مراده، فيلجأ إلى المكان الخيالي المختلق الذي ينقل به المتلقي إلى عالمه الذي ينشده، وذلك مثل قول شاعرنا: (وها أنت في الصمت)[٣]؛ جعل الصمت مكانًا تسكن به محبوبته، وكأنه جدران عازلة أو قيود مكبلة، فهي داخل صمتها محبوسة وفي أغلالة موثقة.

وفي القصيدة ذاتها يقول:

---

(١) السابق ٩٥
(٢) السابق ٧٧
(٣) السابق ٧

إذا زار لحمك صوتي /وطوَّف عبر مدائن جسدك /وارتعشت تحت خطو الحروف العروق/فضمي الجفون على دمعتين

...../ يهد جدار العذاب /وخلف الجدار جدر/فضمي يديك على صرخة /أطلقتها سدوم بعينيك حين أتيت[١]

وكذلك يجعل من الأماني والدموع أماكن يرحل بينها، يقول:

ها أنا أرحل بين الأماني والدموع

يستدل القلب بالأحلام / والأحلام تحيينا وتدمينا[٢]

ويصور جسم محبوبته بمدائن جسدية يتمتع بالتنزه فيها يروح فيها ويجيء:

افتحي لي المدائن الجسديه واحمليني لناهديك هدية

هدهديني .. فقد تولى زمان كنتِ فيه قلادة ذهبية[٣]

ويصور بجميل خيالة مدينة لا شيء فيها سوى الحب والعشق، ويسميها (مدينة العشق) تغازله نوافذها في الصباح، وتسامره مصابيحها في المساء ...يقول:

عيونك تمسح عن جلدي الصدأ

عيونك نيل يفيض /ويجتاح في ركضه الظمأ

مدينة عشق ../ تغازلني في الصباح نوافذها

وتسامرني في المساء مصابيحها

وتقاسمني حجرتي الخالية[٤]

كما يصور وقوفه بين يدي محبوبته بوقوف ناسك في معبد منكسًا رأسه، طالبًا العفو والقرب، فيجعل المكان الذي تقف فيه معبدًا للنساك والعبَّاد ...يقول:

---

(١) السابق ٨

(٢) السابق١٦

(٣) السابق ٢٠

(٤) السابق ٢٨

مسربلًا بالليل جئتُ / واقفا وحدي /منكَّسًا أمام معبدك /ألثم السماء في يديك / أحلم بالصباح شبَّاكًا من الضياء[١]

وفي القصيدة ذاتها يجعل محبتها دارًا، يقول:

وتركت القلب عريانا خجولا في ديارك.

ومن جميل أماكنه الخيالية، حين يجعل من الحزن رحالة يضرب خيامه حول جفونه، وما ذلك إلا من فرط الحزن الذي ظهرت آثاره على عينيه إجهادًا وأرقًا وسهادًا، ودمعا مسكوبًا، وسوادا وشحوبًا .... يقول:

حول أجفان عيوني/ يضرب الحزن خيامه /يشعل النيران /يستدفئ في ليل الدمامه/ ويقيم الحفلات/ وتدور الرقصات[٢]

وفي قصيدته (أعرف الآن مواعيد الغرق) يصور أماكن خيالية كثيرة، منها: (فكي السفر، ناصية السهر، مقاعد السمر، بوابة الصمت)، يقول:

أسقط بين فَكَّي السَّفَرِ / يعصران قلبي / ويدهسان وجهي /فكيف آتيك بقلبي / وبوجهي الآن يا سائلتي ؟/ كلاهما يشهق في دمائي /ينتظر ابتسمة العيون /في مقاعد السمر / يلفظني المقهى على بوابة الصمت وحيدًا [٣]

ويصور قلبه النشوان سباحًا يسبح في بحر من الصخور والأحجار، فيقول:

قلبي النشوان يسبح عبر بحر الصخر والأحجار / يسبح جاهدًا [٤]

(وأنت على ساحل اليل ترتجفين)[٥]

فضلًا عن أماكن أخرى كثيرة في ديوانه، منها: (جدار الزمان /قصور الملوك وأرض البكارة /ساحل الشمس /شرفة من سحاب)[٦]

---

(١) السابق ٣٨
(٢) السابق ٤٨
(٣) السابق ٥١
(٤) السابق ٧٢
(٥) السابق ٧٣
(٦) السابق ٧٦

و(مملكة الموت[1]،حقول المساء ص١٠٦،بطون الحقول ١٠٧، مدن الحرف ١١٦، رصيف الخوف ١١٦، المدن التائهة ١١٩، ساحة النبلاء ١٢٩،جدران الوحدة ١٦٥)

فالشاعر يبتكر مكانًا خياليًا إذا لم يجد في الواقع مكانًا يعبر عن فكرته ويبرز مراده، وهكذا يكون الشعر عالمًا فريدًا بديعًا يصنعه خيال الشاعر، وينقلنا من مكان إلى آخر، حتى إن كان هذا المكان متخيلًا فإنك تستطيع أن تذهب إليه بخيالك، وتطوف مع الشاعر في عوالمه الخاصة، وأماكنه المخترعة.

(١) السابق ١٠٠

المبحث الثالث

دلالات المكان في شعر فوزي خضر

أ- دلالة نفسية

ب- دلالة سياسية

ج- دلالة اجتماعية

دلالات المكان:

الدلالة لغة:

الدلالة في اللغة من قولهم: (دللْتُ بهذا الطريق: عرفته، ودللتُ به أدل دلالة وأدللت بالطريق إدلالًا، ودلَّه على الشيء يدله، دلًّا ودلالة، وقد دلَّه على الطريق يدله دلالة ودِلالة ودُلولة،والفتح أعلى)(١).

الدلالة في الاصطلاح:

هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول (٢).

وسنتناول ـ في هذا الفصل ـ دلالات المكان النفسية والسياسية والاجتماعية، وقد تكونت هذه الدلالات من مجموعة المشاعر متشابهة ومتقاربة كونت دائرة تعبر عن الدلالة في إطار استخدام المكان الدال على هذه المشاعر، وبالتالي الدلالة النفسية التي يرمز إليها.

إن الشاعر لا يذكر في قصيدته الأماكن عبثا، أو ضربًا من الصدفة، وإنما لكل مكان مذكور في القصيدة غاية وهدف، ودلالة تكمن خلفه، والمتلقي منوط به البحث والتنقيب وراء تلك الأماكن واكتشاف ما خلفها من الدلالات.

---

(١) لسان العرب مادة دل ل

(٢) ينظر معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون،دار الفكر، الطبعة الأولى ١٣٩٩ ٢/٢٥٩

وتتنوع الدلالات حسب ما يتراءى للمبدع، فقد تكون الدلالة نفسية أو سياسية أو اجتماعية، والمتلقي هو من يصنف تلك الدلالات بعد الفحص والتمحيص.

وشاعرنا يرمي من خلف ذكره للأماكن بدلالات كثيرة ومتنوعة، وفي تلك الصفحات نحاول أن نبحث في ديوان (تدور بي دوائري) عن الدلالات وراء ذكر الأماكن في قصائده.

الدلالات النفسية للمكان:

إن خلاصة الدلالات النفسية تنتهي إلى دلالتين اثنتين، هما: دلالة الحب، ودلالة الكره، فالإنسان أمام كل ما في الحياة إما محبّ وإما كاره، فالحب يشمل الإعجاب والأمل والحرية والعزة والتفاؤل والفخر وغيرها، والكره يشمل اليأس والسخط والألم والقهر والإحباط والظلم ..إلخ.

الدائرة الأولى: دلالة الحبّ:

هناك العشرات من الأماكن التي ذكرها شاعرنا في ديوانه وكلها ذات دلالات متنوعة أهمها دلالة الحب، والحب عند شاعرنا هو الحب المطلق لكل الحياة بما فيها، من ذلك حب الوطن والحبيبة والأرض والفن والكون ...الخ، وقد ذكر الأماكن التي تدل على محبته تلك، ومن أهم تلك الأماكن:

(١) النيل والأرض والحقول والطين (الوطن)

إن النيل هو هبة الله لمصر، فعلى ضفافه قامت أول حضارة في التاريخ، وعلى جانبيه عاش المصريون آلاف السنين يحبونه ويقدسونه ويعتبرونه مصدر الحياة؛ لذا حرصوا أيما حرص على المحافظة عليه رافدًا يمدهم بالحياة وشريان تجري فيه روح المصريين، وقد عملوا على الحفاظ عليه من كل ما يهدده، وقد كُتبَ على جدران مقياس النيل بمعبد حورس في مدينة إدفو: (إذا انخفض منسوب النهر فليهرع جنود الملك ولا يعودوا إلا بعد تحرير النيل مما يقيد جريانه)، حتى أنه كان من المعروف عندهم أن مما يُسأل الإنسان عنه في الحياة الآخرة: (هل لوثت ماء النيل؟)، وقد عمل المصريون

على المحافظة على تدفق مياه النيل إلى أرض مصر وعدم السماح لأي عائق أن يحرم المصريين من حقهم في الحياة، ومن حقهم في مياه النيل؛ لذا حرصوا في كل العصور على إقامة علاقات طيبة مع دول المنبع باعتبار مصر دولة المصب، وفي بعض العصور اضطر المصريون إلى احتلال بعض دول المنبع التي هددت مصر بالعبث بالنيل، وما نراه الآن من بعض الدول التي تعيد التهديد نفسه، وما أظن مصر تسمح بذلك أبدًا.

إذًا فالنيل هو الحياة بعينها، وعلى الجانب النفسي أيضا هو خل الشعراء وصديق الأدباء ورفيق العاشقين وملهم المبدعين ومنبع الحب عبر تاريخ مصر الطويل، وليس فوزي خضر بدعًا بين هؤلاء المبدعين، فهو مبدع وفنان يحب النيل والأرض ويشعر بقيمة هذا النهر العظيم الخالد، فهو يزاوج ما بين الأرض والنيل والحقول والطين ويجمع بينهما في أكثر من موضع، فهو يعلم أن الحياة تدب في هذه الأرض حينما يأتي النيل بخيره فيسقيها منه فتهتز وتربو، وتصبح الأرض ، ثم تخرج من خيرها ثمرات مختلف ألوانها وطعومها تسقى بماء واحد، ويعيش البشر ويفرح الحجر ابتهاجا بماء النيل .

وفي قريته التي وُلِدَ فيها وأحبها رأى الفلاحين في حقولهم يحرثون الأرض، ثم يروونها بماء الحياة، فتخرج النباتات لتمدَّ الإنسان والحيوان بتلك الحياة في ثوب جديد ليحيا الوطن.

يقول مزاوجًا في حبه بين النيل والأرض في قريته (وطنه):

أحكي عن النيل والأرض في قريتي/والعصافير والفجر والناس والأمنيات[١]

وحين يصور عيون محبوبته حين تمسح عنه التعب بالنيل حين يفيض بخيره ويركض ماؤه في طريقه للأرض الظمآى، فيمسح أردانها ويحيي ما مات منها ... يقول:

(١) السابق ٧٦

أنادي على حافة الهاويه / عيونك تمسح عن جلدي الصدأ / عيونك نيل يفيض ..ويجتاح في ركضه الظمأ[1]

وفي قصيدته (مناجاة) يرى ما يمر به الوطن من مخاطر وصعوبات وفقر بسبب الجبناء الذين باعوه قد جعل أهله – وهو منهم – لا يجدون فيه ما يسد رمقهم، أو يقوض ، أو سكنًا يحميهم من الحر والقر، ويرى أن الجوع قد أنبت جيلًا لا يحمل في قلبه سوى الكره والبغضاء، ويتساءل كيف يحدث ذلك وكأننا لم يهبنا الله نيلًا يجري بالحب قبل الماء، وأرضا خضراء خصبة تنبت محبة أكثر ما تنبت عشبًا؟ فإذا فقدنا الحب فكأننا لا نيل لنا ولا أرض، بل صحراء جرداء ورمال وبيداء .. يقول:

يـــا أيهـــا الـــوطن ... قـــد باعـــك الجبنـــاء
لم يبـــق لي ســـكن ... في أرضـــك الخرســـاء
الجـــوع أنبـــت جيـــلْ ... تجتاحـــه البغضـــاء
كأنـــه لا نيـــل ... وأرضـــنا الخضـــراء
كأنهـــا رمـــل ... كأنهـــا بيـــداء
يـــا أيهـــا الـــوطن ... حفـــت بـــك الأضـــواء[2]

فيجمع بين (الوطن والسكن والأرض والنيل والرمل والبيداء) في إشارة ودلالة نفسية على حبه للوطن وحزنه عليه حين باعه الجبناء، ولم يتركوا له فيه سكنًا ولا مأوى.

ويكرر المعنى ذاته في مقطوعة بعنوان (بكاء)؛ حيث يبكي على مصر بعد أن ذُبِحَ الصبر، وباعها الجبناء، ولم يجدوا من يضرب على يدهم ويمنعهم من ذلك، ولا يزال أهلها الطيبون يرتجون أملًا ربما لا يجيء أبدًا ... يقول:

---

(١) السابق ٢٧
(٢) السابق ٧٩-٨٠

أبكي عليك الآن يا مصر
في كل يوم يُذبح الصبر
باعوكِ.. لم يضرب على يدهم
وعد .. ولا قهر.. ولا نصر
في كل يوم نرتجي أملًا
يأتي لنا أدركه الكسر (١)

إنها الدلالة النفسية للحب تتجسد في النيل والأرض التي تعني الوطن وتعني الحياة بعينها للمصريين عبر الزمان الطويل، والتي لا يمكن أن تخيل هذه الحضارة العظيمة التي نبتت على أرض هذا البلد الطيب وبجوار نيله العظيم، المكان هنا له تلك الدلالة التي لا تخفى على القارئ الواعي.

ولا زلنا نلمس ـ في حديثه عن الأرض والحقول والنيل ـ الدلالات النفسية لهذه الأماكن، ومدى تملكها من نفسه، ففي قصيدته المعنونة بـ (ثلاثة وجوه لهذا الغصن) يقول:

أفلق سطح الأرض /وأخرج أتلفتُ حولي / أنظر فوقي / أطلق في الأجواء صباح الخير/ أترك جذري يتمدد في الأرض على استحياء /أحلم أن أكبر أصبح غصنًا / مجد النبت /أن يصبح غصنًا / تأوي الطير إليه / وتفوت الريح تقبله (٢)

فالمكان هو أرض بلاده التي يحبها ويعشقها، ويتمنى أن يصبح غصنا من أغصانها يمدد فيها جذوره، ويغرس فيها نبته، ويعيش فيها ويكبر حتى يصبح غصنًا قويًا وعضوًا فاعلًا في المجتمع ينفع نفسه وغيره، فإليه تأوي الطيور، فتقف عليه لترتاح وتستظل وتنام، وتداعبه الريح وتقبله بنسمات حلوة هانئة.

(١) السابق ٨٣
(٢) السابق ٣١-٣٢

وفي قصيدة بعنوان (بلادي) يقول:

على راحتيك فتحتُ عيوني /فوجهك أول شيء رأيتُ / تنسمتُ أنفاسك العاطرات / عبرتُ مواسمك الممطرات / وجبتُ البحار/ جنيتُ الثمار/ وهبتُك أغلى أماني الفؤاد /فأنت بلادي /لأجلك أنتِ حملتُ المشاعل عبر الطريق / عبرتُ اللهيب .. وخضتُ الحريق /لآتي بالأعين الوالهة / أُسِرُّ لكفيك بالفاكهه /أقبل كفيك كل صباح وكل مساء / وأقتحم السنوات بحلم السماء/ يحفُّ العطاء بروض الوداد / فأنت بلادي[1]

إنها البلاد التي فتح عيونه عليها، فرأى وجهها، وتنسم أنفاسها عبر المواسم، ثم جاب البحار، وسافر بعيدًا، ثم عاد محملًا بالخير لبلاده أو لمحبوبته التي تمثل الوطن والبلاد عنده، إنها الدلالة النفسية للمكان (الوطن) أو من في المكان، وهي(الحبيبة) التي هي وطنه الذي يعود إليه ويشتاق، ولأجلها يعبر اللهيب ويصارع المخاطر كي يعود إليها محملًا بالفاكهة (أسباب الحياة = المال)؛ ليهديها إليها، ويجلس بين يديها، فيذهب التعب، وينتهي النصب، ويبقى الوداد، وتأتي السكينة والأمن، فهي البلاد التي تحمل كل معاني الأمن والسلام والسكينة والراحة.

(٢) مكة والأماكن المقدسة:

إن الإنسان المسلم يتعلق قلبه بالحرمين الشريفين، بخاصة المسجد الحرام والكعبة المشرفة؛ وذلك استجابة لدعوة أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم في قول الحق جل وعلا: (رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)[2].

(١) السابق ٨١-٨٢

(٢) سورة إبراهيم ٣٧

فلهذه الأماكن روحانية خاصة تأخذ بالقلوب والعقول، ولا يجد المؤمن راحة نفسية وأمانًا وسلامًا وطمأنينة في أي مكان آخر مثل ما يجده فيها، وهو يحبها رغم أنفه وذلك استجابة لدعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام، وشاعرنا عاش دهرًا من عمره قريبًا من مكة المكرمة، بالتحديد في مدينة الطائف التي لا تبعد كثيرا عن مكة المكرمة، وقد كان كثير التردد على الحرم للعمرة والزيارة، ونجد في قصائده دلالات متعددة على حبِّه لهذا البلد الطيب، وفي الديوان الذي بين أيدينا (تدور بي دوائري) نجد لمكة المكرمة مكانة خاصة عند الشاعر، ليس لأنها البلد التي ولد فيها رسول الله ﷺ، وأحبُّ البلاد إلى قلبه، ولكن لأن الشاعر أيضًا عمل لسنوات بالقرب منها (في مدينة الطائف)، وكان دائم التردد على مكة المكرمة، فيناجيها قائلا:

وما بين
الجبال الشمِّ
ترتاحين صابحةً/ بأطراف النهار وفي الليالي/ يهتز قلبي حين تنظرك العيون/
يسيل منها:
توبة؟/ ندم؟/ أم يا ترى فرح اللقاء/ بساحة في الأرض ../ قد وصلت بإدراج الأعالي؟[1]

ويلعب لفظ "الأعالي" ومشتقاته دورًا محوريًّا أو مركزيًّا في تلك القصيدة، وهو لفظ ذو إيحاءات متعددة في هذا المقام المكي، خاصة أن الأعالي ارتبطت برسول الله ﷺ، وسيرته.

ونرى في قصيدة "مكة": أدراج المعالي، درج المعالي، درج العوالي، أعلى من عليات، أعلى هامة، عالي، رءوس الناس، أعلى الأعالي.

(١) ديوان تدور بي دوائري ١٠٩ وما بعدها

ويقابل ذلك السجود الذي يعني الانحناء إلى أسفل، ووضع الجبهة فوق الأرض، حيث يختم الشاعر قصيدته المكية التي ارتفع فيها صوت السرد وغلبة الفعل الماضي، وكأنه يحكي لنا حكايته المكية، قائلًا:

ورفعتُ عيني للسماء
سرحتُ في أعلى الأعالي
ثم انثنيتُ ..
أطلتُ في الأرض السجودَ
أطلت في الأرض السجود

وعلى الرغم من أن حركة السجود هي انجذاب نحو الأرض، إلا أنها تعني أيضا العلو والارتفاع الروحي، فأنت حينما تسجد لله سبحانه وتعالى، إنما تعلو وتحلق روحيا إلى مقام العرش والتواصل مع الله في أعلى عليين(١).

(ب) دلالة الكره

وهذه الدلالة تضم تحتها عديد من الحالات النفسية، مثل: الألم والإحباط والظلم والغربة، والغربة هي أهم المؤثرات النفسية في حياة شاعرنا، وأماكن الغربة المذكورة في شعره لها من الدلات الحزينة والمؤلمة ما لا يعرفه إلا كل من ذاق طعم الغربة وعرف مرارتها، ومن ذلك:

(١) أماكن الغربة مثل المدن الشارع الأرصفة المحال والمطاعم والفنادق إلخ:

لا يخفى على القارئ أن شاعرنا قضى ردحًا طويلًا من عمره مغتربا عن وطنه، ويرجع ذلك إلى أسباب طلب سعة الرزق والسعي وراء لقمة العيش، ولكن بقيت هذه البلاد الغريبة والأماكن التي يرتادها تمثل وجعًا دائمًا في قلبه، فلا يستطيع أن يجعلها بديلًا عن الوطن والأهل، فهو يراها ثقيلة على قلبه، وغير محببة إلى نفسه، فهي جامدة جافة، لا تشعر به ولا تحس وحدته، ولا تشاركه أحزانه أو أفراحه:

(١) مقال للأستاذ أحمد فضل شبلول بجريدة الأهرام بتاريخ ٢٠١٥/٦/٩

فالأرصفة في المدن المستبدة غبية لا قلب لها ولا شعور، يجوع فيها الغرباء يقول في قصيدة (اقتسم الغرباء ثيابي)[١] منها قوله :

قال: فوق الرصيف غريب /فما سمعته القلوب / وجاء يراقبني اليوم/ جاء يدق نوافذ بيتي /يقول : يجوع بأرصفة المدن الغرباء / بأمعائهم لغة غاضبه .

وفي غربته كان طعامه من المطاعم العامة التي لم يطمئن أبدًا إلى نظافتها، فهو يكرهها، ولكن لا مفر منها ... يقول:

حشرات المطاعم تزحف في معدتي/ أتجشأ شاي المقاهي/ وأجتر نظرة عينيك/ حين يسألني تائه عن مكان بعيد.

كما تتورم الدقائق وتطول في الفنادق الغريبة البعيدة التي لا يحس فيها بالأمان ولا السلام، فهو أيضا لا يحبها مهما كانت نظافتها ولا يفضلها على بيته ووطنه:

فوق أسرة هذي الفنادق/ توقفني ضحكة في الشوارع/ في ليلة تتورم فيه الدقائق/أنظر نحو السماء ..فألمح نجمًا يضيء ويغمض ثم يضيء ويغمض/ أغمض عيني ..أحلم ../ هل فجأة تجدين الذي غاب/ يضحك بين يديك مساء؟[٢]

أما الوطن فهو الراحة والسكن والأمن والأمان.

وفي قصيدته (هموم جبل) ـ رغم قصرها ـ يذكر لفظ (مكان) خمس مرات، ويصور نفسه جبلًا يركض يبحث في وطنه عن مكان له، ولكنه لم يجده رغم اتساع الوطن وتنوعه، ورغم سفره وغربته إلا أنه يصر على أن يكون له مكان في وطنه مهما كلف الأمر ... يقول:

جبل يركض / يبحث عن مأوى/ لو حجرًا كنتُ لأمكنني أن أجد مكانًا بجوار جدار/ أو ألقي الجسد المجهد في أحد الأركان /أبحث عن مأوى /كانت

(١) تدور بي دوائري ٢١

(٢) السابق ٤٥

تتزاحم في الأرض بنايات /وديان ..رواب.. أنهار/لم ألق مكانًا يكفيني / هل حُكِمَ عليَّ أن أتفتت أن أنهار / أن أجد مكانًا في أرضي ؟ /لا والله / لن أصبح أحجارًا وصخورا / لن أصبح بعض فتات في الأرض / سأظل شموخا وعنيدا / أركض في الأرض إلى أقصى الطول / وأركض في العرض إلى أقصى العرض / أوقن أن مكاني موجود /يتمنى قربي / أسعى في العمر إليه / ويومًا يهديني لمكاني ربي / يومًا يهديني ربي(١)

ومن دلالات الحزن على بلاده مصر ما كتبه في مقطوعة بعنوان (بكاء) قال فيها:

أبكي عليك الآن يا مصر / في كل يوم يذبح الصبر / باعوك لم يضرب على يدهم / وعد ولا قهر ولا نصر / في كل يوم نرتجي أملا / يأتي لنا أدركه الكسر (٢)

**ومن الدلالات المهمة للغاية هي دلالة الأمل، والإصرار على تحقيق الحلم، وعدم اليأس والركون والثبات، إنه يرى الوطن ـ رغم حبه له ـ لا يعطيه حقه؛ لذا فقد هاجر واغترب كي يحقق ذاته وعيشه الكريم، فيقول مخاطبًا وطنه في صورة محبوبته: إنه لن يرضى بالصبر، ولن يقتنع بالعيش؛ فهو الجواد المعاند دائمًا، فيعافر حتى يغير الحال، فهو لا يقبل القيود حتى لو كانت في أحب الأماكن ومع خير الناس، فخلق الجواد يرفض القيد حتى لو كان البراح.

ساختْ بأرضِكِ ساقي
وأنا الذي قد كنتُ أركض في الزمان الباقي
علِّي أعانق صفحةَ الآفاق
لكن أرضك..كبلتني
وأنا المعاند(٣)

---

(١) تدور بي دوائري ١٣٣-١٣٤
(٢) السابق ٨٣
(٣) النص ص ٤٢-٤٣ من هذا البحث

ومن جميل مقطوعاته حين يذكر الباب والنافذة دلالة أمل قادم يدخل منها النور والنسمات ... يقول:

لا تيأس / إن أُغْلِق هذا الباب /لا زالت توجد نافذة / يدخل منها النور / وتأتي منها النسمات(١)

(ب) الدلالات الاجتماعية للمكان:

الشاعر في كل زمان ومكان هو مرآة عصره ينعكس عليها أحداث العصر ومجرياته وصراعاته، والشاعر هو جزء من المجتمع الذي يعيش فيه يؤثر فيه ويتأثر به، فيفرح لفرحه ويحزن لحزنه، ويشارك مجتمعه أفراحه وأتراحه، فهو نتاج هذا المجتمع، ونبت غرسه، وطرح نهره، وشاعرنا تجسدت فيه كل تلك المعاني في شعره عامة، وفي هذا الديوان خاصة، وقد حوى الديوان دلالات اجتماعية متعددة جسدها لنا عبر الأماكن التي ذكرها.

(١) دلالة الفقر والحاجة:

لقد عاش الشاعر ردحا من حياته يعاني كما يعاني مثله من المثقفين والأدباء من شظف العيش وقصر اليد، والشاعر – كما عرفته – شديد الاعتزاز بالنفس، يحمل نفسا تأبى الضيم، ولا ترضى بالظلم أبدًا، فلم يقبل يومًا هذا العيش الذي لا يليق بأمثاله، فهو يرى نفسه يستحق أن يعيش أفضل عيش، وأكرم حياة، ولم لا وهو يقدم للإنسانية ـ من عمره وعقله وأدبه وفكره ـ ما ينفعها جيلًا بعد جيل، لذا فقد قرر السفر والاغتراب كي يحقق لنفسه وأسرته الحياة التي تليق بهم، فنجد في شعره انعكاس هذه الحياة الفقيرة التي رفضها وعمل على تغييرها، من ذلك تلك القصيدة الرائعة بعنوان (محن)، يقول فيها:

لا بد أن/ تعفو المحن/ عني ولو ساعةْ
الذبحُ شن/ حربا تُجن / والدمُّ طن /شق البدن /والروح ملتاعة

(١) السابق ١٦٩

من لي بكن /فيه السكن /إن الوطن /قد باع مَن /قد ملَّ أوجاعه
هذا الزمن /لم يستكن /لي لحظةً /كي يطمئن /قلبٌ هنا راعه
لا تسألن /لا منفذا /لا بد أن /تعفو المحن /عني ولو ساعه
عني ولو ساعه[١]

فالوطن هو محور القصيدة، وهو المكان الذي لم يجد فيه مبتغاه، بل هو المكان الذي يتشارك فيه أغلب أبناء مجتمعه شظف العيش وآلام الفقر، ونلاحظ أن المضمون هو الذي يفرض الشكل على صاحبه، فقصيدة عمودية شجنية مثل "محن" كان لا بد أن تجيء في هذا الشكل.

ونلحظ في هذا الجزء من القصيدة أن قافية النون الساكنة قد أدت دورها في إبراز صورة الأنين والشجن الذي يكابده الشاعر في تجربته تلك، وأن تفعيلة (مستفعلن) في كل سطر على حدة . (وهو ما يمثل منهوك بحر الرجز) ـ مع زيادة تفعيلة (فعلن) في نهاية كل دفقة شعورية ـ قد أسهم في ارتفاع الإحساس بمدى الإنهاك والفداحة الحياتية التي يحياها الشاعر.

يقول الأستاذ أحمد فضل شبلول: ((وقد شاهدتُ واستمعتُ إلى الشاعر فوزي خضر يترنم بهذه القصيدة أو ينشدها ـ في أكثر من ندوة ومحفل شعري ـ بطريقة مؤثرة كأنه يغنيها وهو يقطر ألمًا، فيطرب لها المستمعون ويتفاعلون معها، وكان لحرف النون أثناء إلقائه دور مؤثر في آذان المستمعين))[٢].

فهو يشكو ضيق العيش وصعوبة الحياة، ويكرر الشاعر الشكوى ويعرض ألمه وحاله الذي لا يرضي به أحد، فقد طال النزف ومال السور وكثر الطعن، وكاد العمر يسيل من بين يديه في وطن لا يعطيه ما يستحقه من العيش الكريم، كما يكرر الشاعر الشكل الشعري السابق نفسه مع إحلال حرف اللام مكان النون في قصيدته "حلك" التي يقول فيها:

---

(١) السابق ٦٥-٦٦

(٢) مقال بجريدة الأهرام ٢٠١٥/٩/٦

الحال حال /والنزف طال /والسور مال /حتى هلكْ
ما من زلال /إن النصال/تأبى الزوال /عن مَنهلك
الطعن صال /والعمر سال/كيف النزال/والقيد لك.

ولعل الملحظ الشكلي هنا أن الشاعر تخلى عن تفعيلة (فعلن) في نهاية كل دفقة أو كل مقطع في "حلك". ولكن لا بد أن أعترف أن تأثير حرف النون كرويّ في "محن" كان أبلغ من حرف اللام كروي في "حلك."

(ج) الدلالات السياسية للمكان:

إن شاعرنا يصب أكثر همّه على الجانب النفسي الإنساني والجانب الاجتماعي أكثر من الجانب السياسي، فإن كانت له اهتماماته السياسية إلا أنها تأتي في المرتبة الثالثة بعد الجانبين النفسي والاجتماعي، وقد تتداخل كل هذه الجوانب في أحايين كثيرة، وتتأثر كل منها بالأخرى؛ فالجانبان النفسي والاجتماعي ما هما إلا انعكاس للجانب السياسي، فالسياسة هي مدار الأمر كله.

والشاعر يرمز بالمكان ذي الدلالة السياسة؛ كي يعبر عن شيء في صدره يفهمه القارئ من خلال فهمه لخصوصية المكان.

إن الشاعر – كما ذكرت – عاش فصولًا من حياته مغتربًا، وقبل أن يغترب كان كثير السفر من الإسكندرية محل إقامته إلى القاهرة محل عمله – غير الرسمي – وإبداعه في الإذاعة وغيرها، وكان وسيلته للسفر هي القطار؛ لذا نجد للقطار والمحطة والرصيف مكانًا في شعره دلالة على كثرة السفر؛ للبحث عن أسباب الرزق. من ذلك قوله:

أعرف الحزن قطارا تتلقاه المحطات طريدا / ثم تقصيه طريدا .....
يلتفت القلب إليك/ ويركب الحزن /تلاقيه المحطات طريدا/ثم تقصيه طريدا[1]

(١) السابق ٥٢

صور الشاعر الحزن قطارًا طريدًا لا يقف في مكان واحد، بل هو كثير التنقل لا يستقر به الحال في مكان طويلًا، وكأنه يصور نفسه من كثرة السفر، فهو لا يتوقف في مكان للراحة، بل لمجرد لحظات، ثم يعاود السفر، وتلك دلالة على الصراع مع الحياة من أجل العيش الكريم.

كما يخاطب قطاره قطار الحزن أن يأخذه بعيدًا إلى غربته وسفره إلى الجحيم – كما قال – عبر محطات اللهيب والحدائق المحترقة في الصدور؛ دلالة على عدم حبه للسفر، وإنما اضطر إلى ذلك اضطرارًا ... يقول:

خذني بعيدا ياقطار الحزن / لا ترجع بوجهي مرة أخرى أعدني للجبال الحمر / نكتب في الضلوع الخضرفصلا في الجحيم /قف في محطات اللهيب / أحرق حدائق الغد الوضَّاءِ في الصدر الخصيب/.....ينبتُ وجهك الحبيب في محطات القطار / غاضبا يصفعني / ويسكب اللهيب من سحائب النيران /في ساقية القلب أنادي صارخا أقذف من نافذة القطار أحلامي[١]

إن القطارات ـ بصوتها وصلصلتها ورجرجتها ـ حاضرة في أذنه وعقله دائمًا بسبب كثرة السفر واعتياد الغربة ... يقول:

وصلنا إلى الحافة ...انتبهي
تطن بأذني صلصلة العجلات جميعا
ترجرجني القطارات جميعا
وتزحف عبر دمائي[٢]

وله أيضًا واصفًا قسوة السفر وعذاباته وألم الاغتراب وكرباته، حين يجوع الغريب فلا يحن عليه أحد، وحين يشكو فلا يسمعه أحد، وفي ذلك دلالة على ضيق الحال الذي اضطره إلى الاغتراب والسفر ... يقول:

فوق الصيف غريب / فما سمعته القلوب ... يجوع بأرصفة المدن الغرباء[٣]

---

(١) السابق ٥٦
(٢) السابق ٢٣
٣) السابق ٢١

ولـ (القدس) في قلوب كل عربي مسلم مكانة عظيمة، وكذلك الحزن على حالها عظيم أيضًا، وهي – بحالها – دلالة على حالنا العربي المقيت الذي لا يخفى على أحد، ولكن هي أيضًا الهمّ الذي يجتمع العرب والمسلمون حوله، وهي القضية الكبرى لهم جميعًا، والأمل في عودتها لا يغيب أبدًا، فهناك نخلة تنبت دائمًا، ولا تتوقف عن الإثمار، وما ذلك إلا قوافل المدافعين عنها والمجاهدين لأجلها، والذين يولدون كل يوم يحملون الأمل الجديد في تحريرها وعودتها إلى أحضان أهلها.. يقول:

في القدس تطلع نخلة /وبرغم سوط الريح يجلد ظهرها /وبرغم نار الشمس تلهب رأسها /هي طالعه /سعفا يعاند لاطما وجه العواصف /خارقا وجه الفضاء /هي طالعه /جسد يعاند /صامدا سم الزواحف / مازقا جلد الهواء/هي طالعة /أبناؤها بلح تخصبه دماء ساطعه /تلد النوى جيلا فجيلا /ليبث في الأرض النخيلا /فيصيرسورا يمنع الأوغاد / يحمى القبة العصماء من عصف الغبار /يصير موجا من عناد / ويعيد أرضا ضائعه/ في القدس تطلع نخلة / هي طالعه /هي طالعه[1]

وكذلك لذكر (مكة المكرمة) دلالة سياسة أخرى؛ فتلك الكعبة التي يتوجه إليها المسلمون في أنحاء الأرض جميعهم بلا استثناء، الكل يمم شطرها بوجهه مهما كان مذهبه، فهي رمز وحدة المسلمين واتفاق المؤمنين، فلم لا تكون لهم الآن وحدة سياسة تجمعهم كما كان من قبل؟

إن الكعبة الغراء لا تجمع فقط البشر من المسلمين، بل يشاركهم أيضا الطير والفراشات والأرواح التي لاقت ربها ... يقول:

في الساحة البيضاء بشرني فؤاي /بالحصاد وبالقطاف /ورأيت كيف الطير حول البيت طاف / وأتت فراشات لطاف /فتزاحمت وتقاربت وتباعدت /أرواح

(١) السابق ٦٩-٧٠س

من تلك التي جاءت طيورا أو فراشات/تطفو على رؤوس الناس داعية لهم ؟/في الساحة البيضاء يتسع الفضاء / في الساحة البيضاء يختصر الوجود(١)

لقد امتزج المديح النبوي بالشكوى والأنين في شعر فوزي خضر، ولذكر المكان دلالة سياسية على حال المسلمين في الوقت الراهن، فالشاعر بعد أن قدم ما يليق بالمقام النبوي في بداية القصيدة تتصاعد في قصيدته نبرة الشكوى وتوصيف واقع الحال فكل الأماكن تطردنا ..يقول:

إنّا نعدو في طرقات رعناء
يدفعنا المنكب .. أو
يقذفنا المقعد .. أو
يلفظنا المصعد .. أو
يتركنا الموكب فوق رصيف الخوف
إنا نقبض حبلا مقطوعا
هل تدلي حبلك للجُبِّ
فنخرج ..
نحرس بيت المال .. المدن .. الأسماء؟(٢)

ويصور الشاعر المسلمين في العصر الحالي وكأنهم في جُبٍّ لا يعرفون الخروج منه، ويستغيث برسول الله ﷺ لأن ينقذهم من هذا الجب بإلقاء حبله النبوي كي يخرجوا منه (٣).

إن الجب الذي عمد إليه الشاعر يعد من أبلغ الدلالات الرمزية للمكان التي تشير إلى واقع المسلمين اليوم، غير أن الحبل الذي من الممكن أن ينقذهم هو تمسكهم بقرآن الله والسنة النبوية المطهرة، مصداقًا لقول رسول الله

(١) السابق ١١١
(٢) ديوان تدور بي دوائري ١١٦
(٣) مقالة لأحمد فضل شبلول مقال بجريدة الأهرام ٢٠١٥/٩/٦

ﷺ في خطبة الوداع: "تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا؛ كتاب الله وسنتي".

وتمتد الشكوى وتصوير واقع حال المسلمين في القصيدة إلى أن يقول الشاعر مصورًا ما هو كائن في بعض البلاد:

من يسجد لصلاةٍ يُصفع
من يهتف باسمِكَ في أسماع مدينتنا
يعرف قول الآه

هكذا استطاع الشاعر توظيف المكان للتعبير عن دلالات متنوعة ما بين نفسية واجتماعية وسياسية، وقد كان لتلك الدلالات الأثر النفسي الذي رمى إليه الشاعر، ووظفه من أجلها.

الخاتمة

بعد تلك التطوافة والبحث عن المكان في ديوان (تدور بي دوائري) للشاعر الدكتور/ فوزي خضر نخلص إلى ما يلي:

١- استخدم الشاعر أغلب الأماكن الواقعية والخيالية في ديوانه.

٢- كان للمكان حضور قوي في ديوانه، رمى الشاعر إلى ذلك قصدًا.

٣- وظف االشاعر المكان حسب رؤيته التي يرمي إليها.

٤- كان للأماكن المقدسة دلالاتها المتميزة عن غيرها.

٥-كان لاستدعاء المكان في الشعر دلالات عديدة ومتنوعة، منها: النفسي، والاجتماعي، والسياسي.

المراجع

* القرآن الكريم
١- ابن منظور (أبو الفضل حمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري(ت ٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيقة عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة(د. ت)
٢- اعتدال عثمان، جماليات المكان، مجلة الأقلام، بغداد١٩٨٦م،.
٣- أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٣٩٩
٤- جريدي سليم المنصوري الثبيتي، شاعرية المكان، مطابع شركة دار العلم للطباعة والنشر، جدة ١٤١٢هـ /١٩٩٢م .
٥- جاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت١٩٨٤م .
٦- حسام الدين الألوسي، الزمن في الفكر الديني والفلسفي القديم، مجلة عالم الفكر، الكويت،العدد(٢) ١٩٧٧م .
٧ - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٠م .
٨- سامية أحمد، القصة القصيرة وقضية المكان، مجلة فصول، القاهرة، العدد (٤) ١٩٨١م .
٩- سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤م .
١٠-شجاع مسلم العاني (دكتور)، البناء الفني في الرواية الفنية في العراق الوصف وبناء المكان – دار الشئون الثقافية العامة، بغداد٢٠٠٠م .
١١- عبد الأمير مؤمن، قاموس دار العلم الفلكي، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٦م.

١٢- عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٥هـ)، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار الشئون والثقافة العامة، بغداد ١٩٨٤م.
١٣-عبد الناصر عيسوي حين انفصل الفارس عن جواده فوزي خضر في ديوان (تدور بي دوائري) مجلة الإذاعة والتليفزيون العدد ٤٢٧٤
١٤- علي عبد المعطي محمد (دكتور)، تيارات فلسفة معاصرة، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية ١٩٨٤م .
١٥- فوزي خضر ديوان تدور بي دوائري الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٥ م
١٦- محمد عزام، فضاء النص الروائي، مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية ١٩٩٦م،
١٧-مدحت الجيار (دكتور)، جماليات المكان في شعر صلاح عبد الصبور، مجلة ألف، القاهرة، العدد(٦) لسنة١٩٨٦م .
١٨- مصطلحات النقد السيميائي WWW.AWudam.org٢٧٩
١٩- ياسين النصير، الرواية والمكان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، سلسلة الموسوعة الصغيرة(١٥٧)
٢٠- ياسين النصير، إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٦م .
** مقال للأستاذ أحمد فضل شبلول بجريدة الأهرام بتاريخ ٢٠١٥/٦/٩

الفهرس

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	المقدمة و بها أسباب اختيار البحث للدراسة، والخطة والمنهج وما حولها	٦٨٢٤
٢	التمهيد : التعريف بالشاعر	٦٨٢٧
٣	المبحث الأول: المكان لغةً واصطلاحًا، ومفهوم المكان وتعريفه	٦٨٣٤
٤	المبحث الثاني: المكان في شعر فوزي خضر	٦٨٤٤
٥	المبحث الثالث: دلالات المكان في شعر فوزي خضر أ- دلالة نفسية ب- دلالة اجتماعية ج- دلالة سياسية	٦٨٧٤
٦	الخاتمة التي تعرض أهم نتائج البحث.	٦٨٩١
٧	ثبت بأهم المصادر والمراجع	٦٨٩٢
٨	فهرس لموضوعات البحث	٦٨٩٤